

العدد العاشر | ذو الحجة ١٤٤٤هـ

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا
نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾

عيد مبارك



العدد ١٠
ذو الحجة ١٤٤٤
مجلة دورية تصدر عن قاعدة الجهاد
تهتم بشؤون المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قاعدة الجهاد - القيادة العامة

بيان بمناسبة

دخول عشر الأضحى والحج الأكبر ١٤٤٤ هـ

الحمد لله الذي امتن على عباده بمواسم الطاعات، والصلاة والسلام الأكملان على خير البريات، الذي حث أمته على صنوف القربات، والتقلب في مراقي العبوديات، أما بعد..

فلبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك ها قد دنا موسم الحج الأكبر الذي تهفوا إليه قلوب الملايين من المسلمين للبيت العتيق لأداء مشاعر الحج من طواف وذكر وسعي ورمي، حيث تهطل مشاعر الحب والشوق الإيماني والتعظيم نحو مشاعر الحج العظيم، الذي قال الحق فيه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢﴾.

وإننا بهذه المناسبة الكريمة على قلوب الملايين من أمتنا الإسلامية الغالية، نرفع إليهم جميعا أسمى التهاني والتبريكات بحلول أعظم مواسم القربات والتضحيات لا سيما الأيام العشر الأولى من ذي الحجة، وندعو جميع المسلمين دعوة خير وحب وصدق وإخلاص، للاجتهاد في التبتل والتقرب من الله جل جلاله، والانطراح التام على باب الكريم عز وجل، والانغماس في ضروب العبوديات والتضحيات التي تُشرَى بها فراديس الجنان ويجاور بها الرحيم الرحمن، ثم ليتأمل المسلمون جميعا أن مشاهد الحج الأكبر ما هي إلا تصويرٌ فنيٌ تقريبيٌ لمشاهد الإقبال العالمي على الله تعالى عند البعث والحشر، حيث يقبل بنو آدم كلهم للحساب والجزاء على هيئة واحدة، فأيما قلبٍ لم تكتنفه الرقة والخشوع لمشهدٍ جليلٍ كهذا، فهو من الرقة والإشفاق بمعزل.

لله در ركـــائـــب ســـارت بـــهـــم** تطوي القفار الشاسعات على الدُّجى
رحلوا إلى البيتِ الحرام وقد شجا** قـلبَ المـتيّـم مـنهـمُ َما قـد شجــا
نـزلـوا بـبـاب لا يـخيـبُ نـزيلـه** وقـلوبـهـم بـيـن المخـافـة والـرجـا

أمتنا الغالية؛ إن من مقاصد تشريع الحج الأكبر التي جاء الإسلام لترسيخ مصالحها وتحقيقها في الأمة الإسلامية، أن يجتمع الحشد الإيماني الغفير من أهل القبلة على صعيد واحد، في اجتماع يُعد أكبر مؤتمر عالمي أممي للوحدة والتقارب بين أهل الإسلام، وأوسع قمة دينية للتضامن والتعاضد بين الشعوب الإسلامية، ليعززوا فيما بينهم مشاعر التحابب والتآلف والتعارف والوحدة والأخوة، في سياق قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، وهو مؤتمرٌ كبير وقمةٌ مشهودة، تعقد عند بيت الله الذي جعله مثابة للناس، ليتدارسوا فيه مرة واحدة كل عام أوضاعهم على جميع الصُعد، بغيةَ تقرير مصيرهم الإسلامي المشترك، ثم ليتبادلوا همومهم، ويتشاركوا آلامهم، ويُلقِّحُوا أفكارهم، كي يحققوا آمالهم المستقبلية وطموحاتهم السياسية على قدر استطاعتهم، ولن تجد من الملايين الحاضرة سوى اللهج برب واحد، ودين واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد وقبلة واحدة، وشعار واحد، ومنسك واحد، لأنهم أمة واحدة، وصدق اللهِ تعالى إذ يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ٩٢ ﴾، وقد كان فيما أَفَل من عصور العز الإسلامي أن يجمع في الحج بين الجانب السياسي والعبادي فكان من أهم أعمال الحجاج في هذه القمة الكبرى، البحث في سبل الرقي بأوضاع المسلمين في كل مكان، والعمل على نصرة المحتاجين والمستضعفين من بني آدم في كل زمان، لأن الاضطلاع بهذه المـــسؤولية الجسيمة تعد من القواسم المشتركة بين أفراد الأمة، وكل ذلكم كان كائنا قبل أن تجري مشيئة الله الكونية بسقوط الحرمين الشريفين تحت احتلال الحملة الصهيوصليبية المعاصرة، وتسليمهما لوكلائهما الغاصبين من صهاينة آل سعود، وما أذن المؤذن -عليه السلام- على من كانوا في أصلاب آبائهم إلا ليأتوا إليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع ولهم ولغيرهم من مستضعفي أمتهم لا سيما الملايين ممن دخلوًا ولا زالوا يدخلون أفواجا

بيان بمناسبة

دخول عشر الأضحى والحج الأكبر ١٤٤٤ هـ

ضمن مسمى ﴿ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ في ظل الطغيان العالمي المعاصر، وليحققوا جميع مراتب التوحيد لرب العبيد، فيجتنبوا الرجس من الأوثان، ويجتنبوا قول الزور، ويطهروا البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود، وكل مشاهد الحج من أولها لآخرها مؤذنة بأن هذه الأمة ستعود لوحدتها واعتصامها واجتماعها، فلهذا كان الحج قرين الجهاد في القرآن والسنة، وهو أيضا قرين الجهاد في تهديد مصالح أعداء الإسلام فيما لو تحققت المقاصد الكبرى من اجتماع الحج الأكبر في هذه القمة الإسلامية الكبرى، ولا نبالغ بالقول حين نقول: إن فريضة الحج مصنفة في أعين الصليبيين وأعوانهم في قوائم الإرهاب بعد فريضة الجهاد، وهي الفريضة الإسلامية الثانية القادرة على تغيير الموازين، وإعزاز الإسلام والمسلمين، ولهذا يحاصرونها بأنواع المكر كي لا تؤدي فاعليتها في النظام العالمي الحديث.

وإن الحملة الصهيوصليبية التي تحتل اليوم بقواتها وقواعدها العسكرية أرض جزيرة العرب، لا تمانع على وكلائها من السماح للمسلمين بتأدية مناسك الحج؛ شريطة أن يكون الحجاج محاصرون بسقف سياسي كمحاصرتهم للحرمين الشريفين بأيدي وكلائهم، كيلا يمثل اجتماع هذا الحشد الإيماني -فيما لو تحقق بعض مقاصد التشريع منه- عاملا تقويضيًا من العوامل التهديدية للهيمنة الصهيوصليبة على جزيرة العرب، ولا بأس لديهم أيضا بالسماح بالحج ما دام أنه يعد من أكبر مصادر الدخل الاقتصادي لتعزيز وتقوية هذه الهيمنة الصهيوصليبية على العالم الإسلامي، كاستثماره في امتصاص أموال المسلمين لتصب في أرصدة البنوك اليهودية في أمريكا وتل أبيب، رغم أن عائدات النفط في بلاد الحرمين تكفي لسد حاجات جميع الحجيج في حجهم، وكجعل موسم الحج مصيدة أمنية لرصد التحركات وتسجيل الهمسات، وفخا للإيقاع بضعفاء المسلمين المـــطلوبين لطغاة الصين وميانمار والهند وبشار الأسد، وقد مارس المحتلون ووكلاؤهم هذه القذارات منذ سنين، وأما اليوم فلا ريب أنهم جعلوا الحج موسما للترفيه والسياحة وترسيخ الانحلال الخلقي وطرد الإسلام من مهبط القرآن، توطئة وتمهيدا لإعادة أشقائهم في تل آبيب، الذين طردهم نبي الملحمة صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة وسائر جزيرة العرب.

أمتنا الحبيبة؛ إن في مناسك الحج فرصة ثمينة للتأمل العميق في ذاك الطريق الوعر الشائك الذي مشى فيه حبيبنا - صلى الله عليه وسلم - فذهب منه إلى الطائف ثم رجع وحيداً فريداً طريدا وأهلها يرمونه بالحجارة حتى تورمت قدماه.

تأملوا في ذلك الموضع الذي وضع الكفار سلى الجزور على ظهره عليه الصلاة والسلام.

تذكروا أنَّ هذه الطرقات قد شهدت صلب المشركين لسيدنا خبيبَ بن عدي -رضي الله عنه- لأجل قيامه بحقوق كلمة التوحيد، وفي صحراء مكة المحرقة بلهيبها الشديد عُذِّبَتْ سمية وعُذِّبَ بلالٌ وعشراتٌ من المسلمين بسبب إسلامهم، فأبت حلاوة الإيمان إلا أن تغلب مرارة العذاب.

تذكروا كم هي تلك المؤامرات والابتلاءات التي قام بها الكفار ضد رسولنا المختار وصحابته الأخيار، وكم هي التضحيات التي قدمها أهل الحق في سبيل الحق.. وكم هو العفو في مقابل ذلك حين قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

تذكروا زمزم هاجر، ومقام إبراهيم، وحجر إسماعيلٍ، ويوم أن قال لصاحبه: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما، فلا تحزن إن الله معنا) فغدا الصِّدِّيقُ صِدِّيقًا بها.

فيا أمة الإسلام في كل مكان، ويا أيها الحجاج لبيت الله؛ إن عيد الأضحى إذا جاء فلا يجيءُ إلا ليذكرنا بالتضحيات التي قدمها هؤلاء الجدود والآباء بنفوسهم وأموالهم وأهليهم والأبناء، إن عيد الأضحى يذكرنا بالتضحية الكبرى لذلك الأب العظيم الذي وفّي بوضع السكين في نحر ولده استجابة لأمر الله جل جلاله..

من إصداراتنا

الكتاب والسلطان اتفاق وافتراق

تأملات في الفساد السياسي وآثاره في تاريخ المسلمين

المجلد الأول

أيمن الظواهري

حكم هدايا العمال

التبديد لأباطيل وثيقة الترشيد - القسم الأول -

بيان بمناسبة

دخول عشر الأضحى والحج الأكبر ١٤٤٤ هـ

فيا أيتها الجموع الملبية والأعين الباكية، يا أصحاب الوجوه الطاهرة النقية، والألسنة الذاكرة الطرية، يا أهل القلوب الخاشعة والنفوس الخاضعة والأيادي الداعية والجباه الساجدة؛ تذكروا هذه التضحيات الجسيمة ووطنوا أنفسكم على التأسي بها، وإنكم لا محالة سترون في مكة اليوم قصوراً شامخةً بازغةً تزاحم بكبريائها قداسة وجلال الكعبة المشرفة ومشاعر الحج، وسترون ظلم الطغاة واعتسافهم وأسرهم لخيرة خلق الله من المجاهدين الأطهار وأهل العلم الأخيار، والفساد والانحلال الذي جلبوه لجزيرة محمد عليه الصلاة والسلام، والكفر البواح الذي عند أهل الإسلام قاطبة فيه من الله برهان، ألا فليكن من دعائكم نصيب على هؤلاء الطغاة الظالمين المفسدين، واسألوا الله وأنتم في بيته الحرام أن يطهرنا وجميع أمة الإسلام من الذنوب والآثام، وأن يصلحنا ويصلح جميع المسلمين، وأن يطهر سائر مقدساتنا الإسلامية من رجس الكافرين، وأن يفك أسرانا وأسرى المسلمين من سجون آل سعود ومن كل السجون والمعتقلات، وأن يمن على الإسلام والمسلمين بالنصر المتين والفتح المبين على الصهاينة المحتلين والصليبيين الغاصبين، والمرتدين المتسلطين.. آمين آمين.

ويا أهلنا في بلاد الحرمين، قد أتاكم ضيوف الرحمن ووفد المنان، فالله الله في خدمتهم وإكرامهم ومساعدتهم بحفاوة وتكريم .. كونوا لهم أهلا، وليكن الحج عليهم سهلا.. أبرزوا إليهم محاسن الأخلاق التي عُرِفَ أهل الجزيرة المحمدية بها، فإنكم تمثلون لهم الإسلام العظيم حيثما كانوا وكنتم.

ويا ضيوف الرحمن؛ اعلموا أنكم قد حللتم ببيت الله وحرمه، ومن نزل بصاحب دار كان تحت سلطانه متقيدا بتنفيذ قانونه، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ضعوا نصب أعينكم قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾، وليكن حجكم مبرورا، وسعيكم مشكورا، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

وإلى تلك الكعبة الحبيبة والبيت المعظم الذي حُرمنا منه لقيامنا بحق شهادة التوحيد (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ولأننا آثرنا إرضاء رب البيت على إرضاء مغتصبي البيت: كونوا لنا شهداء عند ربكم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ويا رب البيت: إنا نشهدك؛ أن لصوص آل سعود وأسيادهم من الأمريكان واليهود قد حرمونا من زيارة حرمك، والطواف ببيتك، والصلاة فيه، والدعاء لك، وذكرك في أنحائه، فاجعل اللهم حرماننا هذا لعنة عليهم، وخذ بثأر المسلمين منهم، ومكن لنا دخول بيتك آمنين منتصرين، كما مكنت لنبيك صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

رب اجعل لنا نصيبا من قولك: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾، وقولك: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





ذو الحجة 1444 هـ

يونيو 2023 مـ

الإمام ابن تيمية

صانع ترياق الشجاعة

عبدالعزيز المدني





في ليلة من ليالي أفغانستان وتباريحها المؤنسة، كنا قعودا مع فضيلة الشيخ العلامة المجاهد الشهيد دوست محمد النورستاني -رحمه الله-، وكان الشيخ كعادته لا يفتتح مجالسه مع المجاهدين إلا بشيء من آيات الذكر الحكيم، مع تفسيرها وبيان أوجه التأويل فيها، وشيء من إشراقاته التدبرية لآي التنزيل..

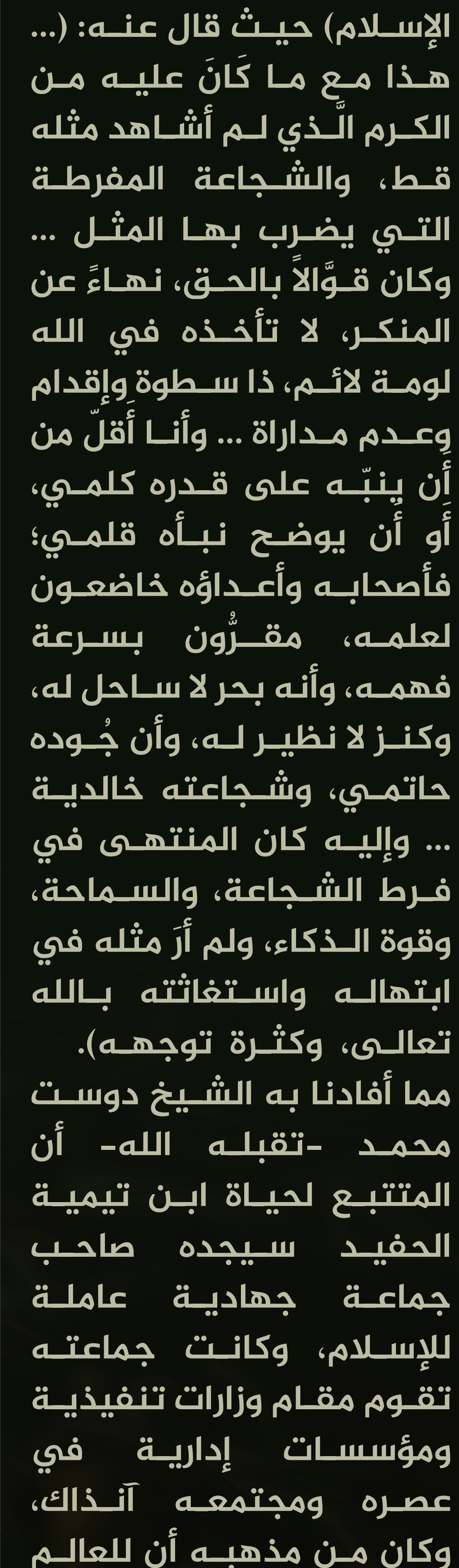
في تلكم الجلسة، كنا حديثي عهد بقتال مفروض علينا مع الصليبيين، حيث باغتونا بإنزال ليلي في منتصف احدى ليالي عام 1431هـ، ونجم عن ذلك مقتل العديد من الأمريكان وعملائهم، واستشهاد أكثر من أربعين مجاهدا، عشرة منهم من المهاجرين العرب، والبقية من إخواننا الأنصار، رحمة الله على الجميع، وأخلف لهم بخير، وقد جرى في هذا الإنزال والحصار الذي دام أسبوعا كاملا؛ آيات وكرامات وعجائب، كنت شاهد عين عليها، فلعل الله أن ينسأ لي بإذنه في الأجل كي أحظى بذكر شيئ منها في مقام آخر..

استفتح شيخنا المجلس بتفسير آيات كريمات من سورة الفتح، من قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} وإلى قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}، وكان مما أفادنا به أن: (هاتين الآيتين تفعل في قلب المجاهد من الأفاعيل حال الإنزالات الليلية وقتال المحاصرات ما لا تفعله جُلُّ آيات الكتاب)، وكان شيخنا يستدل لذلك بتجاربه وتجارب المجاهدين من صحابه في زمن جهاد الروس والأمريكان، وبتجارب السلف وأهل العلم والجهاد قديما عبر التاريخ، وقد ذكر الشيخ لنا بعضا منها في مجلسه من مقتنصاته العلمية التي اقتنصها خلال مطالعته لكتب التراجم والتواريخ، لكنه أوصى كثيرا بالتركيز والتخصص في دراسة تجربة أحد كبار العلماء المجاهدين في القرن الثامن الهجري، وهو ابن تيمية الحفيد -رحمه الله-، وللفائدة؛ فإن لشيخنا المفسر الفقيه دوست محمد الأفغاني الحنفي عناية فائقة وخصوصية بأبي العباس ابن تيمية، فقد اختصر منذ أكثر من ثلاثين عاما فتاواه ورسائله وخلاصة مؤلفاته في خمسة مجلدات، ولا زالت هذه الدرة العلمية تباع في مكتبات باكستان وأفغانستان، باسم (الدرر السنية في خلاصة علوم شيخ الإسلام ابن تيمية)، وحدثني الشيخ أنه دَأَبَ منذ أربعين عاما على أن يختم كل عام مجموع فتاوي ورسائل شيخ الإسلام قراءة ومراجعة، وسمعته يقول ذات يوم أنه من فقهاء الأحناف الذين شغفوا بحب ابن تيمية، وعد منهم شارح الطحاوية ابن أبي العز وغيره، وكان يقول: (إن من أمارات مكابرة الفقيه وإجحافه؛ أن لا يبدي تأثره ولو بجانب واحد من جوانب ابن تيمية)، وصدق الشيخ -رحمه الله- ، فلقد وافقت قالته قالات من سبقه من العلماء المنصفين، منذ مطلع القرن الثامن وحتى يومنا الحالي، وقد مضى الكلام في العدد السابق عن رقى الإستتار وأوراد الاحتجاب عن أعين الظالمين، وأشرت آنذاك

الإمام ابن تيمية
صانع ترياق الشجاعة

إلى شيء من قصص أهل العلم والجهاد في القديم والحديث، وتجاربهم بالتوكل واليقين مع آي الكتاب وأوراد السنن، ثم ذكرت في الختام أن بالنية إن كان في العمر بقية، أن أشفع مقال (الإمام القرطبي صانع القبة الحديدية) بمقال عن (الإمام ابن تيمية صانع ترياق الشجاعة)، فهذا أوان الإفادة به، وسأزدلف ثمة إلى بيان جانب من الجوانب التي يحتاجها كثيرا أهل العلم والجهاد في عصرنا الحاضر، فطالب العلم الكريم لا يخفى على كريم علمه أن لابن تيمية الحفيد الملقب بشيخ الإسلام حضور مشهود في الميدان العلمي، والاجتماعي، والسياسي، والجهادي منذ عصره الغابر وحتى عصرنا الحاضر، فلا زال تراثه بشهادة الموافق والمخالف: التراث الأقدر على مواجهة الحملات الصليبية ضد الإسلام على مر الأزمان، فقد كانت لصولاته وجولاته العلمية والفكرية والجهادية تأثير كبير في صياغة العقل الجهادي منذ القرن الثامن الهجري، ولعل من أجود من ترجم له وأشاد بأوصافه، تلميذه الهمام الإمام الذهبي-رحمه الله- في كتابه (ذيل تأريخ الإسلام) حيث قال عنه: (... هذا مع ما كَانَ عليه من الكرم الَّذي لم أشاهد مثله قط، والشجاعة المفرطة التي يضرب بها المثل ... وكان قوَّالاً بالحق، نهاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوةٍ وإقدام وِعدم مداراة ... وأنا أقلّ من أن ينبّه على قدره كلمي، أو أن يوضح نبأه قلمي؛ فأصحابه وأعداؤه خاضعون لعلمه، مقرُّون بسرعة فهمه، وأنه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، وأن جُوده حاتمي، وشجاعته خالدية ... وإليه كان المنتهى في فرط الشجاعة، والسماحة، وقوة الذكاء، ولم أرَ مثله في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجهه).

مما أفادنا به الشيخ دوست محمد -تقبله الله- أن المتتبع لحياة ابن تيمية الحفيد سيجده صاحب جماعة جهادية عاملة للإسلام، وكانت جماعته تقوم مقام وزارات تنفيذية ومؤسسات إدارية في عصره ومجتمعه آنذاك، وكان من مذهبه أن للعالم وطلابه وأصحابه ولاية على المجتمع بأسره، فكان يفرض رقابة شاملة على المأمور والأمير، ويقيم بجماعته الحدود والتعازير، ويزيل بيده المنكرات، ويهدم البنايات الشركية، ويدخل إلى السجون فيخرج الأسرى المظلومين منها بنفسه، يعرف ذلك من اطلع على كتب التراجم والتواريخ، وصفحات فتاويه ومراسلاته، كما أنه شارك في حروب عديدة، ومعارك حاسمة، وقاوم الطغاة والطواغيت والمستكبرين، وعاش حياة جهادية قاسية في جهاد وحروب وخلافات واختلافات وسجون، فكان لها الأثر الكبير في تعزيز الشجاعة في شخصيته، فشخصيته بإجماع المترجمين له تميزت بالجرأة القوية، والثبات العجيب، والتحلي برباطة الجأش، وقوة القلب، بيد أن سر ترياق الشجاعة التيمي، وعناصر مشروب طاقته الروحية، التي كان يحتسيها أبو العباس تقي الدين ابن تيمية، لم يفصح عنها سوى المقربون إليه من تلامذته الأبرار، وأصحابه الأخيار، فممن أفصح عن ذلكم تلميذه الذهبي حيث يقول: (...فَجرى بَينه وَبينهمْ حملات حربية، ووقائع شامية ومصرية، وَكم من نوبَة قد رَمَوْهُ عَن





في ليلة من ليالي أفغانستان وتباريحها المؤَنسة، كنا قعودا مع فضيلة الشيخ العلامة المجاهد الشهيد دوست محمد النورستاني -رحمه الله-، وكان الشيخ كعادته لا يفتتح مجالسه مع المجاهدين إلا بشيء من آيات الذكر الحكيم، مع تفسيرها وبيان أوجه التأويل فيها، وشيء من إشراقاته التدبرية لآي التنزيل

قَوس وَاحِدَة فينجيه الله، فَإِنَّهُ دَائِم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التَّوَكُّل، ثَابت الجأش، لَهُ أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية ... وَأما شجاعته ففِيهَا تضرب الْأَمْثَال، وببعضها يتشبه أكَابِر الْأَبْطَال، فَلَقَد أَقَامَهُ الله فِي نوبَة غازان والتقى أعباءَ الْأَمر بِنَفسِهِ، وَقَامَ وَقعد، وطلع وَخرج، وَاجْتمعَ بِالْملك مرَّتَيْنِ، وبقطلوشاه، وببولاي، وَكَانَ قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول، وَله حِدة قَوِيَّة تعتريه فِي الْبَحْث حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْث حَرْب).

وأما تلميذه ابن القيم؛ فقد كشف في كتابه (مدارج السالكين) عن عناصر هذا الترياق، فلنستمع لبيان ابن قيم الجوزية كيف أبان عن كنه ترياق الشجاعة التيمي، قال -رحمه الله-: (وَمِنْ مَنَازِلِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} مَنْزِلَةُ السَّكِينَةِ، هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ مِنْ مَنَازِلِ الْمَوَاهِبِ، لَا مِنْ مَنَازِلِ الْمَكَاسِبِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ السَّكِينَةَ فِي كِتَابِهِ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: 248] .

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 26] .

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} [التوبة: 40] .

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح: 4] .

الْخَامِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: 18] .

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [الفتح: 26] . الْآيَةَ.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ؛ قَرَأَ آيَاتَ السَّكِينَةِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي وَاقِعَةٍ عَظِيمَةٍ جَرَتْ لَهُ فِي مَرَضِهِ، تَعْجِزُ الْعُقُولُ عَنْ حَمْلِهَا - مِنْ مُحَارَبَةِ أَرْوَاحٍ شَيْطَانِيَّةٍ، ظَهَرَتْ لَهُ إِذْ ذَاكَ فِي حَالِ ضَعْفِ الْقُوَّةِ - قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيَّ الْأَمْرُ، قُلْتُ لِأَقَارِبِي وَمَنْ حَوْلِي: اقْرَءُوا آيَاتِ السَّكِينَةِ، قَالَ: ثُمَّ أَقْلَعَ عَنِّي ذَلِكَ الْحَالُ، وَجَلَسْتُ وَمَا بِي قَلَبَةٌ.

وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا أَيْضًا قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُ

لَهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي سُكُونِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ.

وَأَصْلُ السَّكِينَةِ هِيَ الطُّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَالسُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَاوِفِ. فَلَا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ. وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ.

وَلِهَذَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ إِنْزَالِهَا عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوَاضِعِ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ، كَيَوْمِ الْهِجْرَةِ، إِذْ هُوَ وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ وَالْعَدُوُّ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ، لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَرَآهُمَا، وَكَيَوْمِ حُنَيْنٍ، حِينَ وَلَّوْا مُدَبِّرِينَ مِنْ شِدَّةِ بَأْسِ الْكُفَّارِ، لَا يَلْوِي أَحَدُ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَكَيَوْمِ الْحُدَيْبِيَةِ حِينَ اضْطَرَبَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ تَحَكُّمِ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ، وَدُخُولِهِمْ تَحْتَ شُرُوطِهِمُ الَّتِي لَا تَحَمَّلُهَا النُّفُوسُ...)

وفي موضع آخر من مدارجه، أبان -رحمه الله- عن عنصر آخر من الترياق التيمي، فقال: (... وَمِنْ تَجْرِيبَاتِ السَّالِكِينَ الَّتِي جَرَّبُوهَا فَأَلْفَوْهَا صَحِيحَةً، أَنَّ مَنْ أَدْمَنَ (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)، أَوْرَثَهُ ذَلِكَ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ، وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة -قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ- شَدِيدَ اللَّهْجِ بِهَا جِدًّا، وَقَالَ لِي يَوْمًا: «لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ -وَهُمَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ- تَأْثِيرُ عَظِيمُ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ»، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ وَاظَبَ عَلَى أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْم بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)، حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ»).

وفي كتابه (الوابل الصيب) كشف ابن القيم أيضا عن سر مهم في غاية الأهمية بقوله: (...وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: (هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي)، أو كلاما قريبا من هذا، وقال لي مرة: (لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر) ... إن الذِّكْر يعطي الذَّاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذِّكر ما لا يطيق فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكرُ من قوَّته في الحرب أمرًا عظيمًا).

لقد أوضح ابن القيم أن هذا الترياق الروحي، كان أشبه ما يكون بغذاء دائم مستمر يتناوله ابن تيمية بشكل يومي، فذلك سر الدواء، وهذا سر توقيت تناوله، وكيفية استعماله، وديمومته وإدمانه، ويؤكد ذلك ما قاله الإمام البزار في كتابه (الأعلام العلية): (وَكَانَ قد عرفت عَادَته: لَا يكلمهُ أحْدُ بِغَيْر ضَرُورَة بعد صَلَاة الْفجْر، فَلَا يزَال فِي الذّكر يسمع نَفسه، وَرُبمَا يسمع ذكره من إِلَى جَانِبه، مَعَ كَونه فِي خلال ذَلِك يكثر من تقلَيب بَصَره نَحْو السَّمَاء، هَكَذَا دأبه حَتَّى ترْتَفع الشَّمْس وَيَزُول وَقت النَّهْي عَن الصَّلَاة، وَكنت مُدَّة إقامتي بِدِمَشْق ملازمه جلّ النَّهَار وَكثيرًا من اللَّيْل، وَكَانَ يدنيني مِنْهُ حَتَّى يجلسني إلى جَانِبه، وَكنت اسْمَع مَا يَتْلُو وَمَا يذكر حِينَئِذٍ، فرأيته يقْرَأ الْفَاتِحَة ويكررها وَيقطع ذَلِك الْوَقْت كُله، أعني من الْفجْر إِلَى ارْتِفَاع الشَّمْس فِي تَكْرِير تلاوتها، ففكرت فِي ذَلِك، لِمَ قد لَزِمَ هَذِه السُّورَة دون غَيرهَا، فَبَان لي -وَالله أعْلَم- أن قَصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حِينَئِذٍ بَين مَا ورد فِي الْأَحَادِيث وَمَا ذكره الْعلمَاء: هَل يسْتَحبّ حِينَئِذٍ تَقْدِيم الأذكار الْوَارِدَة على تِلَاوَة الْقُرْآن أَو الْعَكْس، فرأى -رَضِي الله عَنهُ- أن فِي الْفَاتِحَة وتكرارها حِينَئِذٍ جَمعا بَين الْقَوْلَيْنِ، وتحصيلًا للفضيلتين، وَهَذَا من قُوَّة فطنته، وثاقب بصيرته).

وَكم من نوبَة قد رَمَوه عَن قَوس وَاحدَة فينجيه الله، فَإِنه دَائِم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثَابت الجأش، لَه أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية

وسبق آنفا ما ذكره الذهبي من تعليل شجاعته بكونه دَائِم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التَّوَكُّل، ثَابت الجأش، لَهُ أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية، وأنه لم يرَ مثله في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجهه إليه.

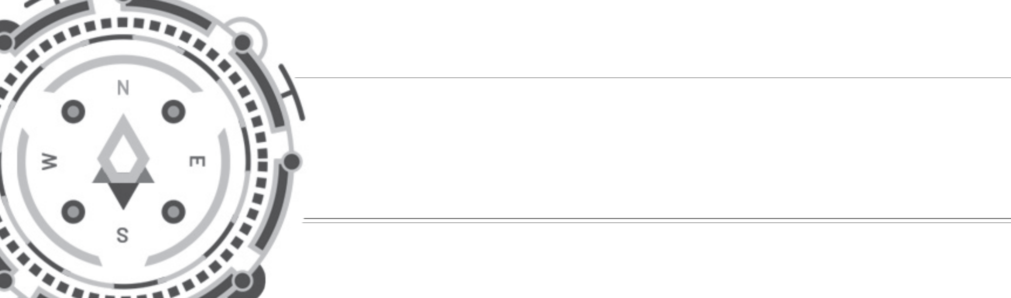
هذا وقد سجل لنا أصحابه الأبرار؛ الآثار الرئيسة والجانبية التي ظهرت عوارضها على ابن تيمية بعد إدمانه لهذا الترياق، فكان الإمام البزار من أوائل من سجلوا لنا العديد من مظاهر بسالته في كتابه الذي أسماه بـ : (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية)، وقد أشاد فيه بثباته ورباطة جأشه في الخطوب، فكان مما قال: (كان رضي الله عنه، من أشجع الناس وأقواهم قلبا، ما رأيت أحدا أثبت جأشا منه، ولا أعظم عناء في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم، وأخبر غير واحد: أن الشيخ - رحمه الله - كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد؛ يكون بينهم واقيتهم، وقطب ثباتهم، إن رأى من بعضهم هلعا أو رقة أو جبانة، شجعه وثبته وبشره، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة، وكان إذا ركب الخيل يتحنك، ويجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويكبر تكبيرا أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت، وَحَدَّثُوا أنهم رَأَوْا مِنْهُ في فتح عكة أمورا من الشَجَاعَة يعجز الواصف عَن وصفهَا، قَالُوا وَلَقَد كَانَ السَّبَب في تملك الْمُسلمين إِيَّاهَا بِفِعْلِهِ

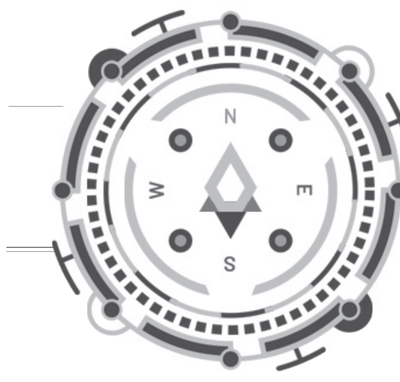
مباحث استراتيجية [٧]

استراتيجية
الأفق المفتوح

أبو خالد الصنعاني







تكرار

الأعمال غير المجدية استنزاف للإمكانات المتاحة .. تفاعلك مع اللحظة الراهنة .. يصعب على الأعداء معرفة ما ستفعله .. قم بشن حرب عصابات على عقلك دون أن تسمح بخطوط دفاع ثابتة أو قلاع مكشوفة .. اجعل كل شيء غازيًا .. سائلًا .. متحركًا .. ما نجح معنا مرة يجب ألا يتحول إلى قوقعة تمنعنا من رؤية التغيير والتطور عند العدو.

لقد تغير العالم وتطورت العلوم .. وما كان مجديًا في الماضي أصبح عائقًا اليوم .. مبادئ الحرب علم؛ واستثمارها فن ومهارة وابتكار وإبداع .. لا تأسر نفسك في ظلال انتصارات الحرب الأخيرة .. لأن أعداءك أيضًا يعرفون كيف تفوقت .. ولا تخوض صراعًا وكأنه الحرب الأخيرة الحاسمة الفاصلة .. دائمًا هناك حرب قادمة فلا تستنفذ إمكاناتك ومواردك .. كن حكيمًا حليمًا لا تكرر نفسك واعلم أن للقتال يومًا آخرًا وليس يومًا أخيرًا.

***

الجنرال العجوز العاجز أمام التطور، فقير في مخيلته أسير لما شاب عليه، يحفظ تاريخه العسكري وتقاليده ولا يسعه أن يتحرر منها، فيكرر نفسه ويستهلك الوقت مع رفاق السلاح في جدال يفيقون منه والعدو في مركز قيادتهم، عندما تواجه جنرالًا شابًا يمتطي صهوة التطور التقني والتكتيكي وينظر إلى الأفق المفتوح بلا أي سقف يحد من رؤيته؛ فأنت في خطر محدق، وإن لم تجاره في اتساع الرؤية وبعد الأفق؛ فالنهاية مأساة تاريخية مكررة، لأن هنا بداية جديدة للتاريخ العسكري تدون.

في معركة اليرموك شكل خالد ﵁ قواته في ميدان القتال، وللمرة الأولى استخدم اصطفافًا يشابه اصطفاف العدو، لكنه ظل محافظًا على إدارياته الخفيفة وتسليحه الخفيف، وبنى خالد بن الوليد ﵁ استراتيجيته على الدفاع لاستنزاف قوات الرومان.

ضمت معركة اليرموك أشكالًا تكتيكية كثيرة منها الهجوم الجبهوي، الاختراق، الهجوم المعاكس، الهجوم الجانبي، مناورة الأجنحة، الالتفاف على المؤخرة، فتح ثغرة -وهي من عبقرية القائد- لتسهيل فرار خيالة العدو، التطويق باستثمار الأرض وإحكام الحصار، غلق الثغرات، تدمير قوة العدو تحت ضربات مطرقة المسلمين على سندان وادي الرقاد؛ حيث استقرت جثثهم.

خالد بن الوليد ﵁ عسكري ذو مخيلة استراتيجية؛ قائد عبقري ومحبوب لم يكرر استراتيجياته أو تكتيكاته وتميز بسرعة الحركة وخفة الإداريات، وتفاعله مع كل معركة حسب إملاءات الميدان وإمكاناته وموارده، فحق لأبي بكر ﵁ أن يقول عقمت أرحم النساء أن يلدن مثل خالد.

***

استراتيجية الأفق المفتوح

خلال إعداد القادة لا بد من خضوعهم لمجموعة مراقبة تتابع أعمالهم، كما لا بد من تعويدهم على عملية النقد الذاتي وكتابة التقارير عن سير الأحداث ومراجعة ما نفذوه عمليًا، سواء كانت نتائجهم العملية حققت الهدف أو لم تنجح في ذلك، فلابد من جلسة مراجعة شاملة لكل الخطوات بالتكامل مع رؤية مجموعة المراقبة، ما هي المبادئ التي بنينا عليها الخطة، ما هي المبادئ التي كان يمكن أن تحقق نتائج أفضل لو أضفناها أو حذفناها، مبادئ الحرب وضعت لتسهل مهمة القيادة لتحقيق النصر إذا انسجمت مع زمن الحرب التي نخوضها، إذا لم يكن هناك مواءمة بين المبادئ والزمن فلن نحسن اختيار المناسب وربما ضاعفنا تكلفة الحرب، وربما تسبب إهمالنا لبعضها بالخسارة، لذلك يجب أن نجلس بعد كل تجربة لدراسة ما قمنا به ولنتعلم ماذا ينبغي علينا أن نفعل.

تجربة النصر لا تعلمنا الكثير، فنشوة النجاح تبعدنا عن النقد الذاتي الموضوعي، والأسوء أنها تستر الأخطاء، ولهذا لا بد أن تكون الجلسة ذات مصداقية كبيرة سواء كان هناك نصر أو نقيضه.

تجارب الفشل تمنح مرتكبها فرصًا للعودة إلى المسار الصحيح إذا أحسن عملية النقد، أما إذا لجأ للهروب للأمام وألقى

خالد بن الوليد ؓ عسكري ذو مخيلة استراتيجية، قائد عبقري ومحبوب لم يكرر استراتيجياته أو تكتيكاته





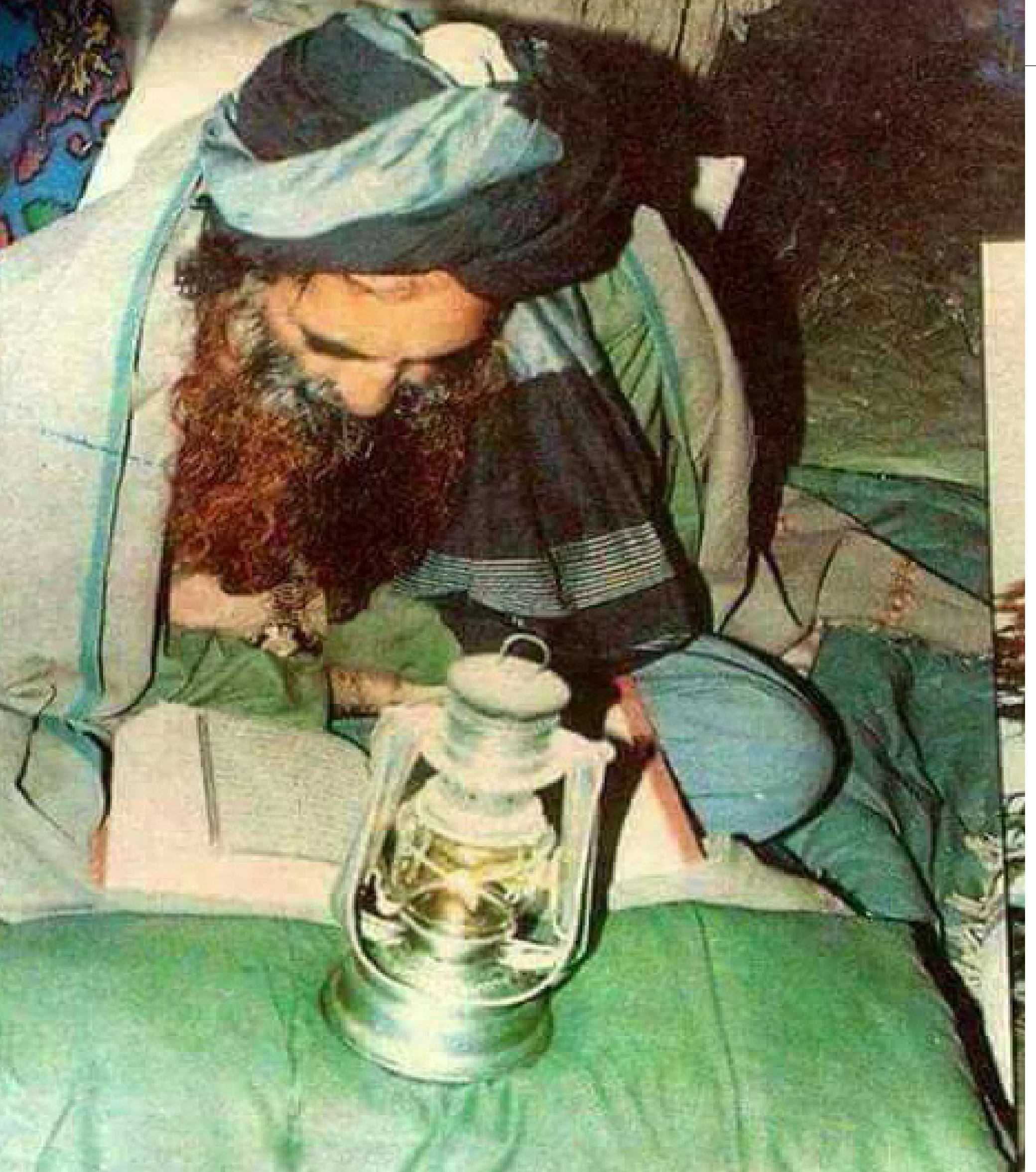
بأسباب الهزيمة على غيره أو الإمكانات فمثل هذه القيادة أشبه بثور الساقية؛ يسير في دائرة مغلقة.

نحن نعاني من الركون إلى التجربة ومبادئ الحرب وتاريخنا العسكري فنقتل الإبداع في داخلنا، لا بد من تعلم كل ذلك؛ هذا لا جدال فيه فهذه المعرفة أساس للمستقبل، لكن التعلق بها وبالحرب الأخيرة التي خضتها تمثل خطرًا علينا؛ لأنها تلتصق بعقولنا وتأسرنا في ثناياها، ويصعب التخلي عنها خاصة إذا تحقق بها النصر وسنميل إلى تكرار الاستراتيجيات التي استعملناها، علينا أن نحذر من مردودات النصر؛ لأن النصر يفرض علينا مشاعر الرضى عن النفس ويفقدنا روح المبادرة ونستمر بتقليد أنفسنا على العكس تمامًا مما تفعله الهزيمة؛ حيث علينا أن نتجاوز مردودات الهزيمة وأن نتمرد على التردد وعدم الحزم الذي يعقبها [لو كنا نعرف أكثر، لو فكرنا أكثر، لو فعلنا كذا] علينا أن نتخلص من مشاعر الندم وجلد الذات.

إذا أحسنا نقد الحدث وأدركنا أن ما كان ينقصنا للنصر ليس المعرفة أو العلم وإنما الفن والمهارة الشخصية والتحرر من قيود التقليد في جرأة بلا تهور بتناغم مع المكان والزمان، وبمعنى أدق أن الجنرال الناجح هو الذي يستفيد من معارفه ولكنه يطبقها بمرونة بحسب متطلبات المكان والزمان.

***

في حرب العصابات لا يوجد معركة أخيرة تنهي بها الحرب، ولذلك يعد التشبث بالأرض ومواصلة الاستنزاف القتالي خطيئة عسكرية، نحن نتشبث بالأرض التي يتخلى عنها العدو تحت تأثير الضربات المتتالية والنوعية، ومهما كان العدو ضعيفًا فلا يصح المغامرة بحرب مفتوحة معه، فالمفاجآت تحدث دائمًا وقد تنقلب الموازين في أي لحظة مدمرة لما سبق تحقيقه؛ فكيف إن كان العدو قويًا ومتماسكًا والصراع على أشده.



صرح الجنرال [شاه نواز تناي] أنه سوف يشرب الشاي في "جاور"، فأجابه المولوي جلال الدين حقاني أن الشيوعيين لن يدخلوا مكانين "جاور والجنة"

معركة «جاور» دارت رحاها بين المجاهدين الأفغان ضد القوات البرية والكوماندوز وسلاح الجو السوفيتي في ثمانينيات القرن الماضي في إبريل 1986، سبقها في عام 1985 معركة نفسية تلتها معركة عسكرية بين جنرال النظام في كابل ضد أحد أعظم القادة الأفغان، صرح الجنرال [شاه نواز تناي] أنه سوف يشرب الشاي في «جاور»، فأجابه المولوي جلال الدين حقاني أن الشيوعيين لن يدخلوا مكانين «جاور والجنة»، ولم يتمكن الجنرال [1985] من الوصول إلى «جاور» وأصيب بجراح خطيرة لكنه نجا.

وهكذا كسبت جاور رمزيتها، واشتعلت فيها بعد عام معركة دامية بلا رحمة في إبريل 1986، علق عليها المهندس مصطفى حامد فكتب: كان الجيش الأحمر قادرًا على الوصول إلى أي نقطة يريدها في البلاد، وهكذا أراد أن يثبت في معركة جاور، ثم معركة فتح الطريق إلى خوست عبر قبائل زدران، وقد ساعدتهم أمريكا عبر باكستان، على إشباع حاجتهم في حفظ كرامتهم العسكرية. في مثل هذه الأوضاع ليس من الحكمة تبني شعار الدفاع عن كل شبر من الأرض أو الثبات حتى آخر رجل. بل يجب أن نتبنى شعارًا يقضي بإيقاع أقصى خسائر للعدو، حتى يصبح نصره نصرًا زائفًا وشكليًا.

استراتيجية الأفق المفتوح

ورغم نتائجها المروعة على المجاهدين إلا أن العمليات أنتجت آثارًا مفيدة وإيجابية؛ منها توفير قناعة لدى القوات السوفيتية أنه لا تراجع للمجاهدين دون أن يكلفوا السوفيت خسائر ضخمة ولذلك لم يكرروها، ومن ذلك إدراك المجاهدين لأهمية الكمائن المتحركة عن الدفاع الثابت وهو ما أثبت جدواه في كمين الكومندوز بعد عام في «جاجي».

قدرات العدو وإمكاناته ترفع من كفاءة المجاهدين وتحسن رد فعلهم، صراع المجاهدين مع السوفيت نقلهم من مناخ الحرب القبلية لمناخ حرب العصابات، وصراع مجاهدي الإمارة مع الأمريكيين رفع من كفاءتهم العملية وقادهم للحرب الأمنية، وبهذا الذهن الحر والمتقد الذي لم تلوثه الانتكاسة الغربية؛ وفق الله عباده الأفغان لهزيمة أعتى قوتين في التاريخ في أقل من نصف قرن.

***

في الحرب كما في الحياة يجب أن نسيطر على عواطفنا ولا نسمح لها بأن تستدرجنا، الحكمة والحلم يجعلان عقولنا قادرة على مواجهة الاستفزاز والحرب النفسية، وكذلك على مواكبة التغيير والتأقلم مع ما هو غير متوقع أثناء الصراع، وفي المقتطفات التالية بعض الأفكار التي تساعد على التأقلم وتقودنا للمهارة العسكرية:

- لتُحرر غريزتك وتصبح قادرًا على التفاعل الإيجابي مع المتغيرات يجب أن تراجع جميع معارفك العسكرية وتطورها وفقا للزمان والتقنية، لا شك أن دراسة التاريخ والنظريات توسع من آفاق الرؤية، لكن احذر الجمود والتصلب، احذر أن تقف عندها ولا يتجاوزها عقلك، التقليد مذهب معتبر، لكنه ليس للمجتهدين وأصحاب الرؤى السابحة عبر التاريخ.

- التعليم يدخل للعقل أفكارًا يصعب هزها، وفي خضم المعركة يعاني من لا يرى ظروف المعركة المتغيرة، ويحاول أن يجد لها مخرجًا من الماضي الذي نجح في إطار مناخ مغاير سواء في الطبيعة أو التقنية أو التكتيك، واقعك يختلف ويحتاج أن تحرر عقلك لينتج ويتقبل حلولًا تناسب تجربة الحاضر، فتنمو فيك روح الإبداع، وينطلق عقلك ليرتقي فوق سقف تجارب وحيل الماضي.

- خلال حرب فتنام كان لدى جنرال فتنام الشمالية «غياب»، مبدأ عام؛ كان بعد كل حملة ناجحة يقنع نفسه بأنه في حقيقة الأمر كان فاشلًا، وكنتيجة لذلك لم تكسره أبدًا نجاحاته، ولم يكرر أبدًا الإستراتيجية نفسها في المعركة التالية، بل كان يفكر بكل وضع على حدة.

- أبق ذهنك مرتبطًا بالحاضر والواقع دائمًا، لا تهدر وقتك في معارك لن تربحها أو تستنزفك، وربما تقلب الكفة لصالح عدوك، اذهب بعيدًا حيث لا يتوقعك العدو، اترك له الميدان الذي أعده وانقض عليه من حيث أعددت أنت، إذا أسرت ذهنك ليتفاعل مع مجهود العدو واستسلمت للنداءات العاطفية واستجبت لبعض حلفائك، فقد تحولت لأداة بيد خصومك الذين وضعوك حيث يريدون، فأين العبقرية في هذا.

- احرص على المحاورة والمشاورة مع كبار الجنرالات؛ واحرص أيضًا على اللجوء إلى الشباب والحوار معهم، اعرض عليهم الموقف كما هو، لا توحي إليهم بما تريد واتركهم يتفاعلون مع المعلومات والخريطة، استمع لحوارهم بعمق، قدر كلماتهم، ثم ادرس ما تفوهوا به، ستجد استراتيجيتك الجديدة دائمًا بين حكمة الشيوخ وهمة الشباب، جسد شيخ تسكنه روح شابة، بهذا تظل متجددًا دائمًا.

- حينما انطلق المسلمون نحو العالم، وكذلك انطلاقة الاسكندر، ومثله المغول، وسار على دربهم نابليون؛ لم تقوَ الإمبراطوريات القديمة على الصمود أمامهم، لقد قادتهم الروح الشابة بكل ما هو جديد فدكت به كل ما هو قديم، تميز المسلمون عن غيرهم بأنهم تحركوا بمد حضاري لا يمكن مقاومته أو رفضه.

- عباقرة الحرب هم من يسعون لتحصيل قوة أكثر ليونة وأكبر مرونة لتحقق قدرة ومجال أوسع للمناورة، الامتداد الأقصى لهذا التطور يتمثل في حرب العصابات، التي تجعل من الفوضى والمفاجأة إستراتيجية، يسبقون عدوهم بخطوة أو اثنتين، لا يكررون التكتيك، ويتفاعلون مع الأوضاع الناشئة.



وبهذا الذهن الحر والمتقد الذي لم تلوثه الانتكاسة الغربية؛ وفق الله عباده الأفغان لهزيمة أعتى قوتين في التاريخ في أقل من نصف قرن.

- فكر مرتين، أولًا: وفقًا لما تعلمته وما تعنيه مبادئ الحرب وما يقوله جيل الجنرالات الكبار وما يتوقع العدو منك أن تقوم به، وثانيًا: فكر بشكل آخر وفقًا للروح المتمردة على التقاليد دون تهور؛ ومن الزاوية التي تقل نسبة توقع العدو لها، ثم ابنِ استراتيجيتك الدفاعية التي يُصاحبها عمليات هجومية وفقًا لأولًا، وابنِ استراتيجيتك الهجومية والتي تركن لدفاع حركي -يُصعب على العدو العثور عليك- وفقًا لثانيًا.

الحركة هي الحياة ولا حياة لروح حبيسة التقاليد العسكرية أو لذهن تَحجُر عليه المبادئ العسكرية، القادة العظام هم من يدرسون المبادئ العسكرية ويخالفونها وفقًا لحدسهم وعبقريتهم؛ هؤلاء الأفق أمامهم مفتوح، وهم من يصنعون مبادئ الحرب التي لا يحدها أفق.

- لا تدع عدوك يفاجئك: ادرس الأرض، ادرس العدو، اعرف نفسك، إمكاناتك، حصل تجارب التاريخ، امضغها بتأني وامنحها الوقت لتهضم، تشاور مع رواد التغير المعاصرين، ضع فلسفة الحرب القادمة، أرسل عناصر الاستطلاع، حدد ميدان الحرب، تناغم مع الطبيعة، اندمج مع السلاح، اقرأ نوايا العدو، واحشره في الزاوية المناسبة.

المهلب بن أبي صفرة

واستراتيجياته في إبادة الخوارج

بقلم: محسن الرومي

الجزء الثاني

الخوارج في كل عصر لا يؤمنون إلا بلغة السيف وحدها، ومنطق الحرب، فهي قناتهم الوحيدة للحوار مع من يخالفونهم الرأي من أهل الإسلام، لهذا كانت الحروب معهم قدرا مقدورا لا انفكاك عنه، فلم يحفظ التأريخ في صفحاته أن الخوارج يرتضون بلغة غير لغة السيف، ومن هنا ندرك حكمة الأمر النبوي باستئصالهم وقتلهم قتل عاد، فلا علاج أنجع لهم من ذلك.

موجز معارك المهلب مع الخوارج:

كان أول نفير الخوارج وبدء معاركهم مع المهلب على ما ذكره الدينوري في كتابه (الأخبار الطوال)؛ خروجهم في أربعين رجلا وفيهم من عظمائهم نافع بن الأزرق، وعطية بن الأسود، وعبد الله بن صبار، وعبد الله بن إباض، وحنظلة بن بيهس، وعبيد الله بن ماحور، وذلك في زمان يزيد بن معاوية، وعلى البصرة يومئذ عبيد الله بن زياد، فوجه إليهم عبيد الله أسلم بن ربيعة في ألفى فارس، فلحقهم أسلم بقرية من قرى الأهواز تدعى بـ (آسَك)، فواقعهم، فقتلت الخوارج من أصحاب أسلم خمسين رجلا، فانهزم أسلم، فأنشأ رجل من الخوارج يقول:

أألفًا مؤمنٌ منكم زعمتم
ويهزمكم بـ (آسَكَ) أربعونا؟
كذبتم، ليس ذاك كما زعمتم
ولكنَّ الخوارجَ مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم
على الفِئة الكثيرةِ يُنصَرُونَا

فضل قتال الخوارج

فضل قتال الخوارج

للشيخ حمد بن حمود التميمي

بيت المقدس

أطعتم أمر جبَّار عنيدٍ
وما من طاعةٍ للظالمينَا

فاغتاظ ابن زياد لذلك، فكان لا يدع بالبصرة أحدا ممن يتهم برأي الخوارج إلا قتله، حتى قتل بالتهمة والظِّنَّة تسعمائة رجل، ولم يزل يتفاقم أمر الخوارج، ويتحلَّبُ إليهم من كان على رأيهم وهواهم من أهل البصرة حتى كثروا بعد موت يزيد، ثم هرب عبيد الله بن زياد من العراق، فكتب أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير يعلمونه أنه لا إمام لهم، ويسألونه أن يوجه إليهم رجلاً من قبله يتولى الأمر، فوجه إليهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، فقدم البصرة، وتولى الأمر بها، فدعا وجوه أهل البصرة، فاستشارهم في رجل يوليه حرب الخوارج، فقال الأحنف: (الرأي لا يخيل ولا يشتبه، وما أرى لها إلا المهلب بن أبي صفرة)، فكلهم قالوا: (عليك بالمهلب بن أبي صفرة)، ثم قام رجل من أهل البصرة يعرف بابن عراده، فانشدهم قوله:

فليس لها إلا المُهَلَّبُ إنه
مليءُ بأمرِ الحربِ، شيخٌ لَهُ شَانُ
إذا قيل من يحمى العراقين أومأتْ
إليه معَدٌّ، بالأكف، وقحطانُ
فذاك امرؤٌ إن يلْقهمْ يَطْفِ نارهم
وليس لها إلا المُهَلَّبُ إنسانُ

فقال الأحنف بن قيس للحارث بن عبد الله: (أيها الأمير، اكتب إلى أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه-، وسله أن يكتب إلى المهلب بأن يخلف على خراسان رجلا، ويسير إلى الخوارج، فيتولى محاربتهم)، فكتب الحارث لابن الزبير بذلك، فلما انتهى كتابه إلى ابن الزبير، كتب إلى المهلب يستنفره إليهم، فنفر المهلب وخلف على خراسان غيره، فأقبل حتى وافى البصرة، فصعد على المنبر وخطب في الناس خطبة وجيزة، ثم نزل من المنبر، وأتى منزله، فأتاه الحارث وقال: (يا أبا سعيد، قد ترى ما رهقنا من هذا العدو، وقد اجتمع أهل مصرك عليك، وكل من في مصرك ماد عينه إليك، راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك)، وقال الأحنف: (يا أبا سعيد، إنا والله ما آثرناك بها، ولكنا لم نر من يقوم مقامك)، فقال المهلب: (لا حول ولا قوة إلا بالله، إني عند نفسي لدون ما وصفتم، ولست آبياً ما إليه دعوتم)، فأمر المهلب بديوان الجند فأحضر إليه، فانتخب من أبطال أهل البصرة عشرين ألف رجل، فيهم من قبيلته الأزد ثمانية آلاف رجل، وبقيتهم من سائر قبائل العرب، وولى ابنه المغيرة مقدمته في ثلاثة آلاف رجل، وسار حتى أتى الخوارج، وهم بنهر (تستر) قرب الأهواز، فواقعهم فهزمهم، حتى بلغوا الأهواز، وأقام المهلب بعد أن هزم الخوارج أربعين يوما يجبي الخراج بجانب دجلة، وأعطى أصحابه من الغنائم، فأسرع إليه الناس رغبة في مجاهدة



إستخبارات الإمارة الإسلامية تتمكن من كشف وأسر مسؤول إعلام خوارج خراسان المدعو: عبد الله بن حبيب الله والمشهور إعلاميا في تلغرام بأحمد بهرام.

فلم يحفظ التأريخ في صفحاته أن الخوارج يرتضون بلغة غير لغة السيف، ومن هنا ندرك حكمة الأمر النبوي باستئصالهم وقتلهم قتل عاد، فلا علاج أنجع لهم من ذلك.

الخوارج، ولما في الخراج والغنائم، فكان فيمن أتاه ونفر إليه من العلماء والفضلاء: محمد بن واسع الأزدي، ومعاوية بن قرة المربي، وكان معاوية يقول: (لو جاء الديلم من ههنا، والحرورية من ههنا، لحاربت الحرورية)، وممن أتاه أيضا أبو عمران الجوني، وكان يقول: (كان كعب يقول: قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار)، ثم ارتحل المهلب سائرًا في آثارهم، وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج، فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم، فإذا هم حشوة الناس [أي أراذلهم]؛ ما بين قصار، وصباغ، وداعر، وحداد، فخطب المهلب الناس، فذكر من هناك، وقال للناس: (أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم)، فلم يزل مقيمًا حتى أحكم أمرهم، فقوي أصحابه، وتكاثر الفرسان في عسكره، وتنام إليه زهاء عشرين ألفاً.

فبلغ ذلك نافع بن الأزرق، فأقام بالأهواز حتى وافاه المهلب، فواقعهم، وقاتلهم يوما إلى الليل، وأصابته ضربة في وجهه، أغمي عليه منها، فقال الناس قتل الأمير، فازدادوا لذلك حنقا، فقتلوا من الخوارج بشرا كثيرا، وقتل رئيسهم نافع بن الأزرق، وانهزمت الخوارج نحو (فارس)، فقال رجل من الخوارج في قتل نافع بن الأزرق:

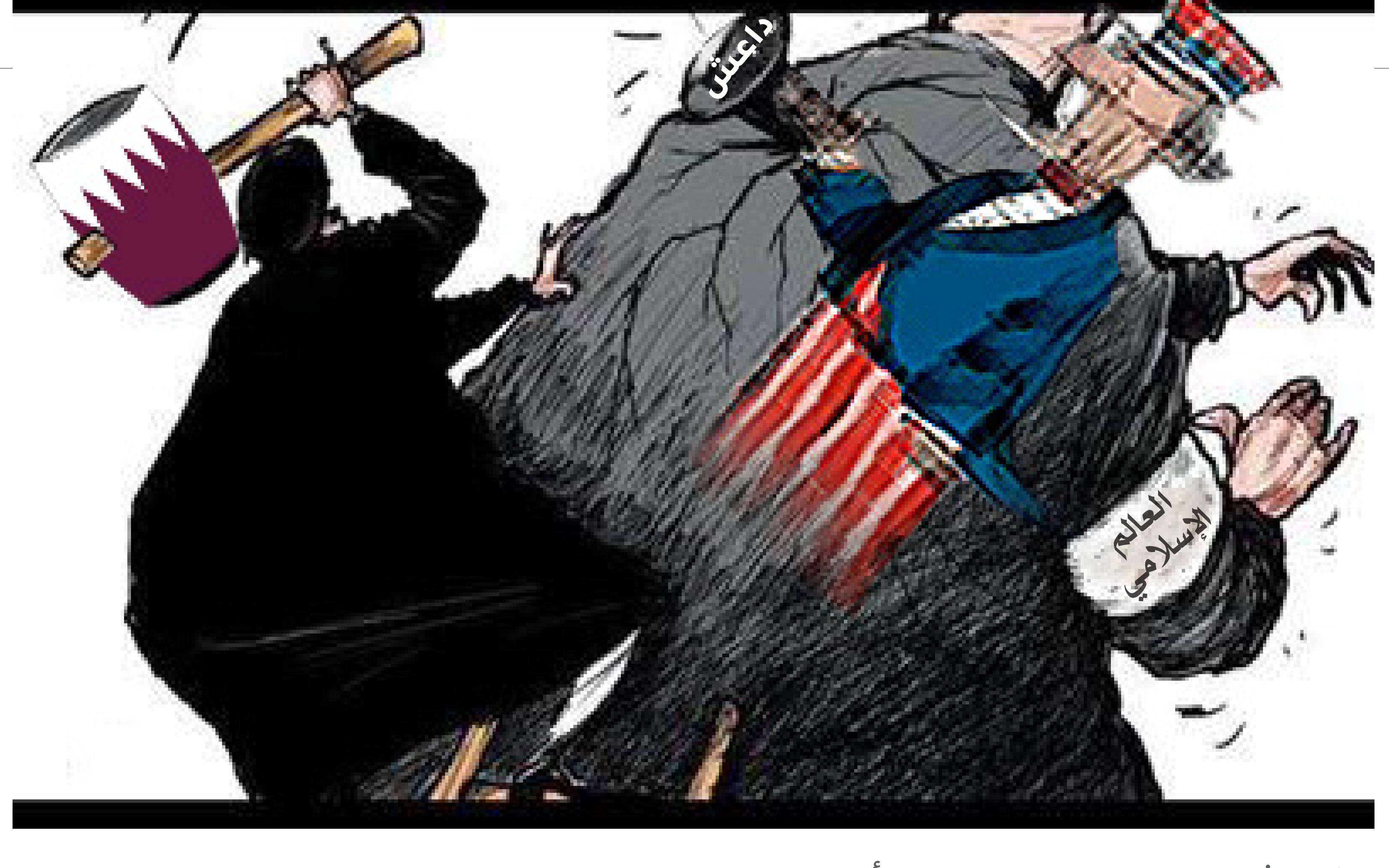
شِمِتَ المهلبُ، والحوادثُ جمَّةٌ
والشامتون بنافعِ بنِ الأزرقِ
إنْ ماتَ غيرَ مداهنٍ في دينه
ومتى يمرُ بذكرِ نارٍ يُصْعَقِ
والموتُ أمرٌ لا محالةَ واقعٌ
مَنْ لا يصبِّحْهُ نهارًا يُطْرَقِ
فلئنْ مُنِينا بالمهلبِ إنه
لأخو الحروبِ وليثُ أهلِ المشرقِ
ولعله يُشجَى بنا ولعنا
نُشجَى بهِ في كلِّ ما قد نَلتقِي
بالسُمْرِ نَخْتَطِفُ النفوسَ ذوابلًا
وبكلِّ أبيضَ صَارمٍ ذي رَوْنَقِ
فَيُذِيقُنَا في حَرْبِنَا، وَنُذِيقُهُ
كلٌّ مَقَالَتُهُ لِصَاحِبِهِ (ذُقِ)

ولما قتل نافع بن الأزرق اجتمعت الخوارج، فولوا على أنفسهم عبد الله ابن ماحور، وكان من نُسَّاكِهِم، وبلغ ذلك المهلب، فسار من الأهواز في طلبهم حتى وافاهم بمدينة (سابور) من أرض فارس، وكان المهلب يبث الأحراس في الأمن، كما يبثهم في الخوف، ويذكي العيون في الأمصار، كما يذكيها في الصحارى، ويأمر

أصحابه بالتحرز، ويخوفهم البيات وإن بعد منهم العدو، ويقول: (احذروا أن تكادوا كما تكيدون، ولا تقولوا: هزمنا وغلبنا، فإن القوم خائفون وجعون، والضرورة تفتح باب الحيلة)، ثم قام فيهم خطيباً فقال: (يا أيها الناس؛ إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، وأنهم إن قدروا عليكم فتنوكم في دينكم، وسفكوا دماءكم، فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس، والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله، والمعصي المخالف حارثة بن بدر، فقتلوا جميعاً وقتلوا، فالقوهم بجد وحد، فإنما هم مَهَنَتُكم وَعَبِيدُكم، وعارُ عليكم، ونقصُ في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم، ويطأوا حريمكم).

ثم سار يريدهم، فالتقوا، فاقتتلوا، وانهزمت الخوارج في آخر النهار حتى انتهوا إلى (جرجان) في شمال إيران، وأتبعهم المهلب، فوافاهم، فالتقوا به في يوم شديد المطر، فقاتلهم، فهزمهم، فأخذوا نحو (كرمان)، فلم يزل المهلب يسير في طلبهم من بلد إلى بلد، ويواقعهم وقعة بعد وقعة مدة خلافة عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- إلى مقتله، وخلوص الأمر من بعده لعبد الملك بن مروان، فلما استدف الأمر لعبد الملك، وولى الحجاج الثقفي العراقين، استبطأ الحجاجُ المهلبَ في استئصال الخوارج، وظن أنه يهوى مطاولتهم، فبعث إليه عبد الأعلى بن عبد الله العامري، وعبد الرحمن بن سبرة، وقال لهما: (احملاه على مناجزة القوم وترك مطاولتهم)، فقدما عليه، فأخبراه بما بعثا له، فقال لهما المهلب: (أقيما حتى تعاينا ما نحن فيه، فإن الحجاج أتاه السماع فقبله، وأتاه العيان فرده، وقد حملني على خلاف الرأي، وزعم أنه الشاهد وأنا الغائب)، ثم سار نحو الخوارج فلحقهم بأداني أرض (كرمان)، وأمر المهلب أصحابه بالتحارس، حتى إذا أصبح ركب إليهم على تعبية صحيحة، فواقعهم، وأمامه ابنه المفضل، فقتل رئيس الخوارج عبد الله بن ماحور، وانهزموا حتى توسطوا أرض (كرمان)، وولوا على أنفسهم رجلا من نُسَّاكهم، وهو قطري ابن الفجاءة.

ثم إن المهلب انصرف إلى بلدة (سابور)، فوافاهم يوم عيد النحر، فخرج بالناس إلى المصلى، فبينا هو يخطب الناس على المنبر، وقد صلى بهم إذ أقبلت الخوارج، فقال: (سبحان الله، أفي مثل هذا اليوم يأتوننا؟ ما أبغض إليَّ المحاربة فيه، ولكن الله تعالى يقول: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ})، ثم نزل عن المنبر، ونادى في أصحابه، فركبوا واستقبلوا الخوارج، فحملت عليهم الخوارج، وأمامهم عظيم منهم يسمى عمرو القنا، وكان من فرسانهم، وهو يرتجز:



نحن صبحناكم غداة النحر
بالخيل أمثال الوشيج تسري
يقدمها عمرو القنا في الفجر
إلى أناس لهجوا بالكفر
اليوم أقضى في العدو نذري

فاقتتلوا، وصبر بعضهم لبعض، وكثرت بينهم القتلى، فلم يزل كل فريق منهما على مكانه حتى حال بينهم الليل، وانحازت الخوارج إلى (كازرون)، وسار إليهم المهلب فواقعهم بـ (كازرون)، فأسرع المهلب في الخوارج، فتفرقوا في تلك الوقعة، وصاروا سيارة، وخرجوا إلى تخوم (إصطخر)، فأتبعهم المهلب.

ومن المناسب أن نذكر للقارئ نبذة عن الاستراتيجيات العسكرية التي اتبعها المهلب في قتاله للخوارج حتى كسر شوكتهم وقمع فتنتهم، والله الموفق.

١) استراتيجية تمزية الصف وتشقيقه:

تعتمد هذه الاستراتيجية أولا على مرحلة دراسة عقائد الخوارج ونمط تفكيرهم، وفحص آرائهم، ومعرفة طبائعهم، ومدى تماسك منهجهم المرتبك لمعرفة مواطن الخلل والضعف فيه، ثم توظيف هذه الثغرات في إحداث خلخلة بداخل صفوفهم عقديا وفكريا واجتماعيا وعسكريا، فالخوارج كالعادة يميلون بطبعهم إلى الحمق ونبذ الحكمة، ويتصفون بقلة العقل وسطحية التفكير، مع اعتزال وانعزال عن سواد الأمة، رغبة منهم في التميز الإصطفافي، والتفرد المنهجي، ولهذا كان شعارهم في تمايزهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة: (ما كان هذا منهجنا ولن يكون)، من هنا عمل فرسان الإسلام عبر التاريخ على ضربهم من داخل منهجهم، باستغلال الثغرات المنهجية في عقائدهم لإحداث الانقسامات الفكرية والتنظيمية فيهم بعد إثارة الخلافات العقدية بداخل صفوفهم، لإنتاج أقصى قدر ممكن من المعارك الفكرية التكفيرية بداخلهم، والتي لا تنتهي على أقل تقدير إلا باختلاف كلمتهم، وغالبا ما تؤدي لإبادة بعضهم بعضا بسيف الحمق الداعشي، ومن أهم المعطيات التي يتم الاستناد عليها في هذه الاستراتيجية أن العقل الخارجي في أغلبه عقل ساذج أحمق سطحي، مهما تميز صاحب هذا العقل بحافظة علمية، أو خلفية ثقافية، ومهما تميزت بنيته الجسدية بالقوة والشجاعة والاندفاعة الروحية نحو البذل والتضحية بالنفس، وبعد دراسة المهلب لأهم الأسس المنهجية عند الخوارج، تبين له أن الطبيعة الفكرية لهم تلتقي في عدة أسس من أهمها ما يلي:

1- تكفيرهم للمسلم بغير مكفر، وتسميته مشركًا خارجًا عن الإسلام بالجملة، مخلد في النار مع سائر الكفار.
2- استباحتهم لدماء وأموال وأعراض المسلمين المخالفين بأدنى عارض، واستحلالهم قتل أطفالهم وسبي نسائهم.

3- غلوهم في التسامح مع المشركين من اليهود والنصارى والصليبيين وغيرهم إذا كانوا عندهم من الذميين.

4- تكفيرهم للخوارج الموافقين لمنهجهم ومذهبهم وعقيدتهم إذا نكصوا عن مبايعتهم أو الهجرة إليهم أو قعدوا عن الجهاد تحت رايتهم.

5- عدم توثقهم وتبينهم في القضاء والحكم على الأشخاص.

6- عدم الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة وأحكام الشريعة الإسلامية.

بعد إدراك المهلب ودراسته لهذه الأسس المنهجية التي يحوم حولها الفكر الخارجي، قرر المهلب العمل بتجنيد هذه الأسس الفكرية في تمزيق وحدة الصف الداخلي للخوارج، فنصب المهلب لهم من المكائد والفخاخ ما أمكنه من تحقيق مراده فيهم، فأدى ذلك إلى تمزق صفوف عسكر الأزارقة بين العرب والموالي والعجم، وكان مظهر ذلك مغادرة قطري ابن الفجاءة مدينة (جيرفت) التي كانت مركز عمليات الأزارقة الحربية، والتجاؤه مع من معه من العرب إلى (طبرستان)، أما الموالي والعجم فقد استمروا في سيطرتهم على (جيرفت) بقيادة كبيرهم عبد ربه الصغير، وقد ذكر المبرد في كتابه (الكامل) أخبارهم بالتفصيل، وأن المهلب بن أبي صفرة كان قد حاصرهم ثمانية عشر شهراً، ولم يقدر عليهم حتى أوقع بينهم الشقاق، وأما قصة اختلافهم وكيف أوقع بهم المهلب، فقد ذكر المبرد أن رجلاً حدادًا من الأزارقة، كان يعمل نصالاً مسمومةً فيرمي بها أصحاب المهلب، فقال المهلب: (أنا أكفيكموه إن شاء الله)، فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم، وقال له: (ألق هذا الكتاب في عسكر قَطَرِي بن الفجاءة واحذر على نفسك)، وكان الحداد يقال له أبزى، فمضى الرسول وألقى عليهم الدراهم والكتاب، وكان فيه: (أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال)، فوقع الكتاب والدراهم في يد قطري، فدعى بأبزى، فقال له: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري، قال: فهذه الدراهم؟ قال: ما أعلم علمها، فأمر به فقُتِل، فجاء عبد ربه الصغير وهو من قادة الأزارقة وزعمائهم، فقال لقطري: أقتلت رجلاً على غير ثقة ولا تبين؟، فقال له: ماحال هذه الدراهم؟، قال: يجوز أن يكون أمرها حقًا، ويجوز أن يكون كذبًا، فقال له قطري: قَتْلُ رجل في صلاح الناس غير منكر، وللإمام أن يحكم بما يراه صلاحاً، وليس للرعية أن تعترض، فَتَنَكَّرَ له عبد ربه في جماعة معه ولم يفارقوه، فبلغ المهلب ما وقع بين قطري وعبد ربه من التناكر والاختلاف والضغينة، فدس المهلب إلى قطري رجلاً نصرانيًا، فقال له: (إذا رأيت قطريًا فاسجد له، فإذا نهاك فقل: إنما سجدت لك)، ففعل النصراني ما أمره المهلب به، فقال له قطري: إنما السجود لله، فقال: ما سجدت إلا لك، فقال رجل من الخوارج لإمامه قطري: قد عبدك النصراني من دون الله، وتلا قوله تعالى: {إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم أنتم لها واردون}، ففزع قطري وقال: إن هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئًا، فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله، فأنكر قطري ذلك عليه، وقال له منكرًا: أقتلت ذمياً، فاختلفت كلمتهم، وتمكن المهلب من تعميق شق صفوفهم، وبدى له أن يعمق التشرذم والإنقسام فيهم أكثر، فوجه إليهم رجلاً يسألهم عن شيء من مسائل عقيدتهم، فأتاهم الرجل فقال: (أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق، وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة، ما تقولون فيهما؟)، فقال بعضهم: أما الميت فمؤمن من أهل الجنة، وأما الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها، وقال قوم آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنة، فكثر الاختلاف بينهم في مسائل الإيمان والتكفير، فخرج قطري إلى حدود (إصطخر)، فأقام شهرًا والقوم في اختلافهم، ثم أقبل، فقال أحد الخوارج: يا قوم، إنكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم لكم، بسبب ما ظهر من اختلافكم، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة.

ثم خرج أحد الخوارج فنادى على جيش المهلب وقال: يا أيها المُحَلَّوْنَ [أي الحلال دمائهم وأعراضهم الذين لاعهد لهم ولاحرمة] هل لكم في الطِّراد، فقد طال العهد به، ثم أنشد:

ألم تر أنَّا مذ ثلاثونَ ليلة
قريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خفض

فتهايج القوم، وأسرع بعضهم إلى بعض، ونشبت الحرب بين الخوارج وجيش المهلب، ولم ينتصر المهلب عليهم إلا بعد عناء وكد وخلاف مع أصحابه، وقال المهلب متعجبا من شدة بأس الخوارج: (ما رأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم)، حتى أنه عاتب أصحابه على ضعف بأسهم بالخوارج وقال يوما متذمرا: (كل أمر لا أليه بنفسي فهو ضائع)، فقال له أحد



إلا أنهم يحملون عوامل التفتت والفناء من داخلهم، فيكثر بينهم النزاع والانقلاب لأتفه الأسباب، وكان هذا من عوامل هزائمهم المتكررة عبر التأريخ، وقد فطن لذلك المهلب بن أبي صفرة ومن استن اليوم بسنته في جهاد الدواعش

المهلب بن أبي صفرة واستراتيجيته في إبادة الخوارج

أصحابه: (أرح نفسك، فإن كنت إنما تريد مثلك فوالله لا يعدل أحدنا شسع نعلك).

وقد ذكر المبرد في (الكامل) أن المهلب حينما بلغه تزايد الإنقسام في صفوف الخوارج قال: (إن اختلافهم أشد عليهم مني)، كما ذكر أن أحد أصحاب قطري واسمه الصلت بن مرة أنشأ يقول متذمرا من تمزق صفوفهم:

قل للمحلّين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناسا على دين فغيرنا ... طول الجدال وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم ... عن الجدال وأغناهم عن الخطب
إني لأهونكم في الأرض مضطرباً ... ما لي سوى فرسي والرمح من نشب

ومن منهج الخوارج في كل عصر (التكفير المتبادَل) بينهم وبين ولاة أمرهم، وعدم إعذار بعضهم بعضا، فقد كفروا إمامهم الذي مكثوا ينادونه بأمير المؤمنين عشر سنين، فأثابهم أمير مؤمنيهم وخليفة مسلميهم بالتكفير جزاءً وفاقا، والسبب كما ذكره المبرد في (الكامل) أنهم قالوا لقطري: ألا تخرج بنا إلى عدونا؟ فقال: لا، ثم رأى بعد ذلك أن يخرج لضرورة في التخطيط الحربي أو لسبب يعلمه، فقالوا: قد كذب وارتد عن الإسلام، فاتبعوه يوماً فأحس بالشر، فدخل دارًا مع جماعة من أصحابه، فصاحوا به: (يا قطري .. يا دابة .. اخرج إلينا)، فخرج إليهم، فقال: (رجعتم بعدي كفاراً)، فقالوا: أو لست دابة، ألم يقل الله عز وجل: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}، ولكنك قد كفرت بَقولك: (إنَا قد رجعنا كفاراً)، فتب إلى الله عز وجل، فشاور قطري أحد أصحابه، فقال: إن تبت لم يقبلوا منك، ولكن قل: إنما استفهمت فقلت: (أرجعتم بعدي كفاراً؟)، فقال ذلك لهم، فقبلوه منه.

وبهذا الخبر الذي ساقه لنا صاحب (الكامل) يتضح للقارئ أن الخوارج لم ولن يكونوا متحدين ولا متكاتفين، وأنهم سرعان ما يختلفون وينضمون تحت ألوية مختلفة يضرب بعضها بعضا، ولو اتحدوا لكانوا قوة في منتهى الخطورة على الأمة الإسلامية، وإن من أعظم أسباب فشل الخوارج في كل عصر: انصرافهم إلى المجادلات المنهجية، والخلافات الفكرية، والاتهامات الباطلة، ومراقبتهم الصارمة لأفعال قادتهم ومقولات أفرادهم، وتكفيرهم لإخوانهم بكل صغيرة وكبيرة، كما يتضح للباحث في شؤون الخوارج أنهم مهما تميزوا بقوة العزيمة وشدة البطش، ومهما تحلوا بعظيم الإخلاص لأفكارهم والتفاني لها، إلا أنهم يحملون عوامل التفتت والفناء من داخلهم، فيكثر بينهم النزاع والانقلاب لأتفه الأسباب، وكان هذا من عوامل هزائمهم المتكررة عبر التأريخ، وقد فطن لذلك المهلب بن أبي صفرة ومن استن اليوم بسنته في جهاد الدواعش، فكان من الرأي الراجح أن يسهم المجاهدون الصادقون في خلخلة صفوفهم، وبث الخلاف بينهم لتفريقهم وإضعافهم وتوظيف منهجهم وسيوفهم في إبادتهم، فيُكتفى بهذه الاستراتيجية عن كثير من مؤنة حربهم وقتالهم، وفي الجزء القادم أكمل -بإذن الله- ما قد شرعت فيه من الكلام على المهلب واستراتيجياته، وإلى ميعاد العدد القادم؛ نسأل الله تعالى أن ينزل عاجل عقابه وأليم عذابه بطواغيت الخوارج وعبيدهم، وأن يرحم أمة التوحيد من شرهم وطغيانهم، والحمد لله رب العالمين.

***





الرسالة الثالثة:

مَا أنا عليه وأصحابي

مِن رسائل الوحي

بقلم: الشيخ الفاضل د. سامي العريدي حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد والأنبياء والرسل أجمعين، أما بعد:

نكمل في هذا المقال حديثنا عن أصل الاعتصام فبعد أن ذكرنا في المقال الأول والثاني وجوب الاعتصام وطريقته نبين هنا المنهج القويم في تطبيقه والتزامه

فأقول مستعينا بالله:

إن المناهج والمذاهب تعددت في فهم ما جاء به الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وقد زكى الله تبارك وتعالى منهجا واحدا من بين تلك المناهج وجعله منهجا مستقيما للاعتصام وهذا المنهج هو منهج الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم..

قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾ [البقرة: 136، 137]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [النساء: 115]

إن الصحابة رضي الله عنهم هم أول المشمولين في هذه التزكية الربانية فقد أنعم الله عليهم واصطفاهم من بين العباد لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وفهم ونقل ما جاء به لمن بعده وجعل الله ما هم عليه من الإيمان والهدى منارا وأنموذجا يقتدي به من جاء بعدهم فمن وافقهم واتبعهم فقد اهتدى ومن خالفهم فقد ضل..قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (ولا ريب أن المنعم عليهم هم أتباعه، والمغضوب عليهم هم الخارجون عن اتباعه، وأتبع الأمة له وأطوعهم أصحابه وأهل بيته، وأتبع الصحابة له السمع والبصر، أبو بكر وعمر، وأشد الأمة مخالفة له هم الرافضة، فخلافهم له معلوم عند جميع فرق الأمة، ولهذا يبغضون السنة وأهلها، ويعادونها ويعادون أهلها، فهم أعداء سنته صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته وأتباعه من بنيهم أكمل ميراثا؟ بل هم ورثته حقا. فقد تبين أن الصراط المستقيم طريق أصحابه وأتباعه، وطريق أهل الغضب والضلال طريق الرافضة. وبهذه الطريق بعينها يرد على الخوارج، فإن معاداتهم الصحابة معروفة.) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 95)

وهذا ما قرره وبيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم». متفق عليه

فهذه التزكية النبوية ليست لأبدانهم وأجسامهم وإنما هي تزكية لما أنعم الله به عليهم من الإيمان وحسن الفقه والاتباع، وفي هذه التزكية النبوية بيان لمن يريد الخير بعدهم أن يتبع ما كانت عليه القرون الفاضلة الأولى فإنه لا سبيل لتحصيل ذلك الخير إلا باتباع منهجهم رضي الله عنهم ، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (وقد صنف الإمام أحمد - رضي الله عنه - كتابا في طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - رد فيه على من احتج بظاهر القرآن في معارضة سنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وترك الاحتجاج بها، فقال في أثناء خطبته: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه، وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه وخاصه وعامه وناسخه ومنسوخه وما قصد له الكتاب.

فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه، شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه واصطفاهم له، ونقلوا ذلك عنه، فكانوا أعلم الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم وما قصد له الكتاب، فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم -.) إعلام الموقعين عن رب العالمين (2/ 207)

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

«ما أنا عليه وأصحابي»
من رسائل الوحي

وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» رواه الترمذي وحسنه الألباني

هذا الحديث يبين للباحث عن الحق في زمن الفتن والافتراق أن منهج السلامة والسداد الذي به العصمة والنجاة من الضلال والهلاك هو ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الهدى والاتباع فكل منهج أو مذهب لا يهتدي بهديهم فهو في ضلال وشقاء وإن تسمى بالأسماء البراقة فالعبرة بالمعاني والحقائق لا بالمسميات والانتساب.. فلا بد من النظر من تحقق الوصفين في المذاهب والمناهج الأول: التزام ما جاء به النبي صلى عليه وسلم «ما أنا عليه» والثاني: التزام منهج وسبيل الصحابة في فهم وتطبيق ذلك «وأصحابي»

وهذا هو شعار وهدي أهل السنة والجماعة على مر العصور كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فإذا كان وصف الفرقة الناجية أتباع الصحابة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك شعار السنة والجماعة - كانت الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، فالسنة ما كان [صلى الله عليه وسلم] هو وأصحابه عليه في عهده، مما أمرهم به أو أقرهم عليه أو فعله هو والجماعة هم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعا، فالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا خارجون عن الجماعة قد برأ الله نبيه منهم، فعلم بذلك أن هذا وصف أهل السنة والجماعة، لا وصف الرافضة، وأن هذا الحديث وصف الفرقة الناجية باتباع سنته التي كان عليها هو وأصحابه وبلزوم جماعة المسلمين.فإن قيل: فقد قال في الحديث: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، فمن خرج عن تلك الطريقة بعده لم يكن على طريقة الفرقة الناجية، وقد ارتد ناس بعده فليسوا من الفرقة الناجية. قلنا: نعم، وأشهر الناس بالردة خصوم أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وأتباعه؛ كمسيلمة الكذاب - وأتباعه وغيرهم. وهؤلاء تتولاهم الرافضة كما ذكر ذلك غير واحد من شيوخهم). «منهاج السنة» (3/457-458).

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب الحوادث والبدع: "حيث جاء به الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا" لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم). إغاثة اللهفان (69/1). من هنا وجدنا تعظيم السلف الصالح لما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومهابتهم لمخالفتهم كما قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم) الموافقات (4/ 457)

فاتباع منهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هو المنهج السديد والراشد للاعتصام بالوحي وبه تدير الجماعة المجاهدة معركتها مع أعداء الإسلام لا تبغي عنه حولا ولا تبديلا فقد عده أئمة السلف من أصول السنة كما قال الإمام أحمد رحمه الله: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم.....) شرح أصول أهل السنة والجماعة (175/1). ومتى تخلت الجماعة المجاهدة عن هذا المنهج تكون قد انهزمت أمام عدوها في أهم مفاصل الصراع بين الحق والباطل ودخلت باب الانحراف والتيه من أوسع أبوابه كما حدث لجماعة البغدادي الخوارج الجدد.. وهذا ما يسعى له الأعداء في مختلف أبواب الصراع بين الحق والباطل بمختلف الوسائل المتاحة لهم.. فإدارة معركة الاعتصام بالوحي اليوم لا بد أن تكون على منهاج خير القرون الفاضلة فكما قال سلفنا الصالح:لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

قلنا وقالوا

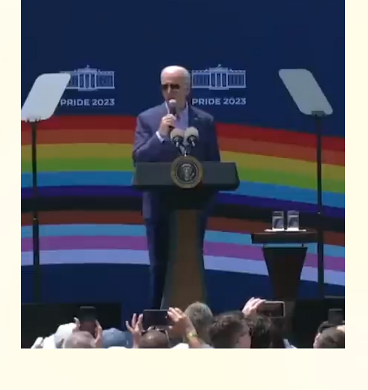
الشيخ الأستاذ الدكتور
حاكم المطيري - حفظه الله

نزلت سورة الأحزاب وأمر الله المؤمنين فيها بالثبات وأمر المؤمنات بالحجاب والستر -لمواجهة كفار العرب واليهود الذين اجتمعوا على حرب النبيﷺ وحصار المسلمين والقضاء على الإسلام كما اليوم- للتلازم بين حماية الأمة بالجهاد، وحماية الأسرة بالعفاف؛ فكلاهما وقاية من اختراق العدو لحصون الأمة! لذا يستهدف العدو الأمريكي الأوربي المرأة المسلمة في دينها وعفافها وحجابها؛ فحربه على الإسلام وأهلها لا تقتصر على احتلال دوله وحصار شعوبه وإخضاعها لنظامه المادي الإلحادي بل تمتد إلى الأسرة وتدميرها بشعار الحرية وحقوق المرأة ليفرض المثلية والإباحية، وكل مؤمنة هي اليوم في جهاد كيوم

الشيخ الدكتور
سفر الحوالي - فك الله أسره



وأباحوا المحرمات التي تجمع كل الأديان والأعراف والعقول والفطر والأذواق على تحريمها، مثل إباحة المحكمة الأمريكية العليا لعمل قوم لوط، وكل هذه الغفلة والسفول ترتكبه أمريكا اليوم باسم الحرية الشخصية، ولم أسمع أن زعيما أوربيا استنكره، وهذه الفاحشة الشاذة التي يخففونها باسم «المثلية الجنسية» يطالب بها بعض من يسكن في بلاد أهلها مسلمون.. وإذا استمر السكوت طالب بها من يستنكرها اليوم.



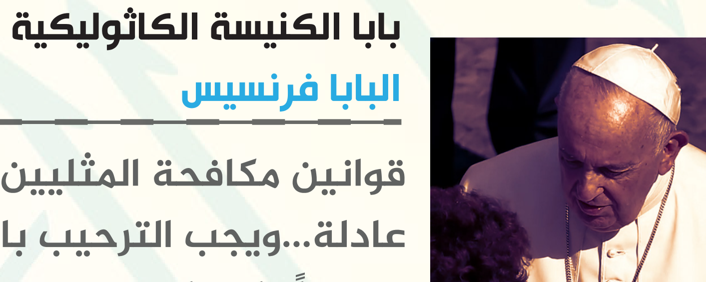
رئيس أمريكا
جوزيف بايدن

نحن هنا نتشرف بهذا اليوم العظيم ونحي عظم شجاعة وتضامن مجتمع المثليين لنحتفل بالمساواة والتقدم ونرحب بمسيرة الفخر للمثليين التي لم يسبق لها مثيل في البيت الأبيض وما هذه إلا البداية



مستشار إعلامي للسيسي
إبراهيم عيسى

التصريحات التي قالها بابا الفاتيكان الأفق المنفتح والمستنير التعامل المتعايش مع الاختلاف...



بابا الكنيسة الكاثوليكية
البابا فرنسيس

قوانين مكافحة المثليين غير عادلة...ويجب الترحيب بالمثليين جنسياً واحترامهم وعدم تهميشهم والتمييز ضدهم.. ويجب الاعتراف القانوني للأزواج من نفس الجنس تحت اسم الارتباط المدني




رئيس روسيا
فلاديمير بوتين

الكنيسة الأمريكية تريد إنشاء صورة إلاه من نوع غير محدد الجنس ...النخب في تلك البلدان يغرقون في ضرب من الجنون



ويل للعرب

من شر قد اقترب

للشيخ: إبراهيم القوصي -حفظه الله

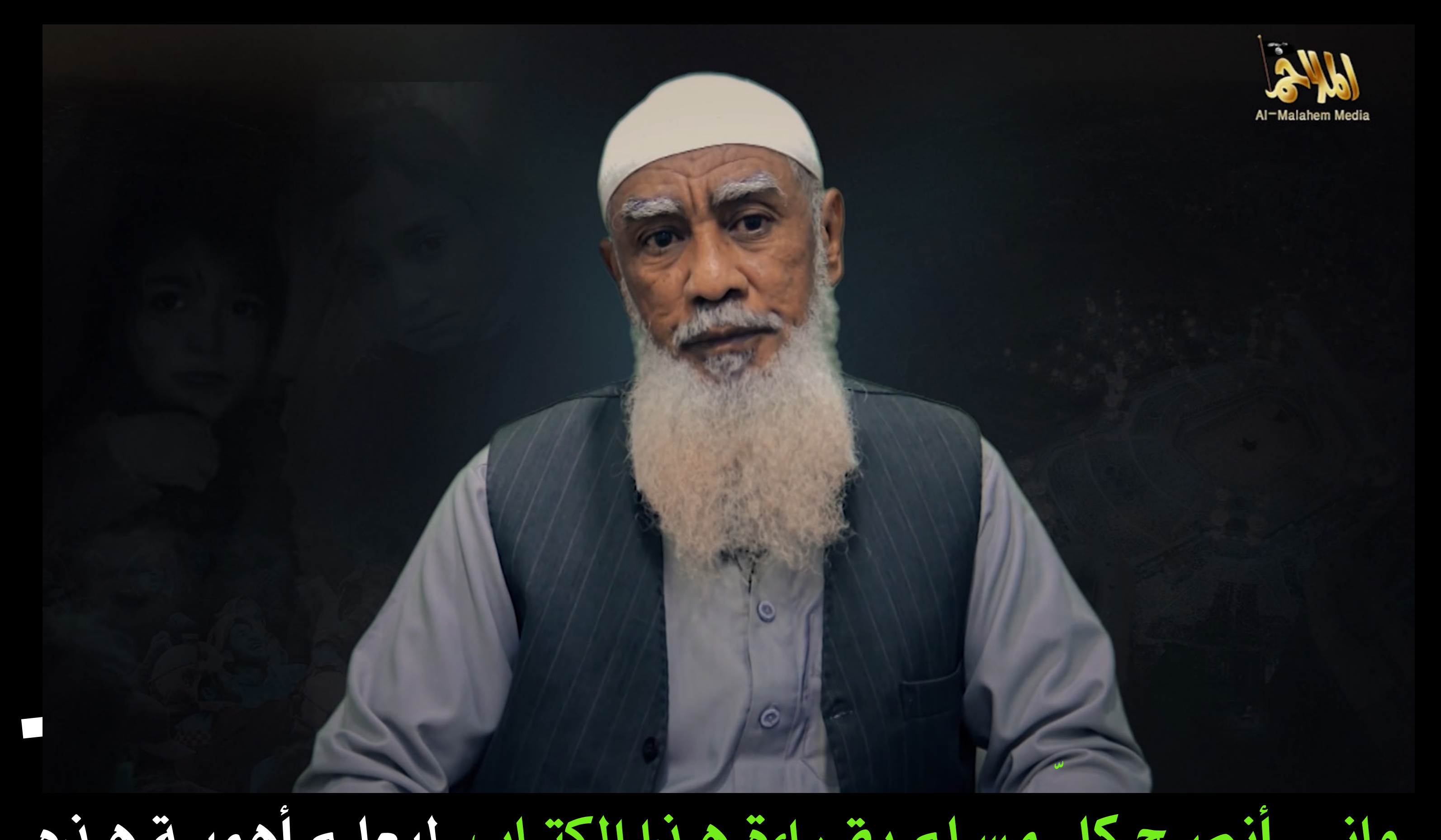
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد. إخواني المسلمين في كل مكان عامة، وفي جزيرة العرب خاصة، حديثي إليكم في هذه الكلمة بخصوص النوازل والمدلهمات، التي تتردد على مسامعنا وأنظارنا في جزيرة العرب صباح مساء، وما خفي علينا مما نشاهده ونسمعه أعظم. فجزيرة العرب كما تعلمون، شرّفها الله بكونها مهبط الوحي، والأرض التي ختم الله فيها رسالاته، وبعث منها خاتم أنبيائه ورسله، وخصّ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم خصائص لم يخصّها لبقعة أخرى من الأرض، وجعلها أرضا لا ينبغي، ولا يجوز أن تكون ملاذا ولا سكنا إلا لمن كان من المسلمين خاصة، فقال عليه الصلاة والسلام: «لأخرجنّ اليهود والنّصارى من جزيرة العرب حتّى لا أدع إلا مسلما » رواه مسلم، بل كان من آخر وصاياه للمسلمين قبل موته أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وألا يبقى فيها دينا يدان لله به إلا الإسلام، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» متفق عليه، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يبقينّ دينان بجزيرة العرب» رواه مالك وغيره، وهذه الأحاديث وغيرها، تدل دلالة واضحة على قدسية هذه البقعة، وأهميتها في الإسلام وفي نفوس المسلمين، ووجوب تطهيرها من رجس الكافرين مهما كانت دياناتهم، وعدم السّماح لهم بتدنيس هذه الأرض، والاختلاط بأهلها المسلمين، لذلك كانت هناك جهود مبذولة من العلماء في هذا الباب، للفت أنظار المسلمين لأهمية هذه الأرض، وخصائصها التي تخصّ بها دون غيرها، ومن ذلك كتاب العلامة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، الذي ألفه بهذا الشأن قبل أكثر من ثلاثة عقود، وهو كتاب صغير في حجمه، كبير في نوعه وقيمة موضوعه، حيث قال رحمه الله: فمن شاهد: «ظاهرة

التحول» التي تمرّ بها جزيرة العرب من زحف الخسائس على الخصائص، رأى وجوب لفت الأنظار إلى خصائص جزيرة العرب في الإسلام، حتى تبقى مركز إضاءة لعموم المسلمين، وهي أثر من آثار الرابطة الإسلامية والأخوة الإيمانية التي جاءت بخصوصها الأدلة، لا الرابطة الترابية «الوطنية» ، ولا العرقية كالقومية العربية، والعصبية القبلية؛ ولذا ألّفت هذا الكتاب: «خصائص جزيرة العرب» عام 1409 هـ- وقال أيضا في ثنايا كتابه:- ومن هنا يتضح للبصراء بجلاء منزلة هذا الأصل العقدي، وضرورة إحياء ما هجر من خصائصه، وبعثها من مرقدها؛ ليروا كيف منحت الشريعة هذه الجزيرة شخصية مستقلة؛ في قيادتها، وأرضها، وأهلها، ودعوتها؛ على رسم منهاج النبوة لا غير. انتهى كلامه رحمه الله.

وإني أنصح كلّ مسلم بقراءة هذا الكتاب؛ ليعلم أهمية هذه الأرض في الإسلام، وللأسف الشديد، رغم قدسية هذه البقعة، التي تضمّ على ثراها أقدس مقدسات المسلمين في العالم أجمع، الحرمين الشريفين، إلا أن حكّامها استباحوا حرمتها، ودنّسوا قدسيتها بشر الأفعال، دون مراعاة لأيّ خاصيّة من خصائصها، أو مراعاة لأهلها المسلمين، فجعلوا هذه الجزيرة معسكرا لمجندي ومجندات الصليبيين الأمريكيين وغيرهم، في احتلال سافر لمعقل الإسلام، ليس هذا فحسب، بل

...الأخوة الإيمانية التي جاءت بخصوصها الأدلة، لا الرابطة الترابية «الوطنية» ، ولا العرقية كالقوميّة العربية، والعصبية القبلية؛ ولذا ألفت هذا الكتاب:

«خصائص جزيرة العرب» عام ١٤٠٩ هـ



وإني أنصح كل مسلم بقراءة هذا الكتاب ليعلم أهمية هذه الأرض في الإسلام، وللأسف الشديد، رغم قدسية هذه البقعة، التي تضم على ثراها أقدس مقدسات المسلمين في العالم أجمع، الحرمين الشريفين، إلا أن حكامها استباحوا حرمتها، ودنسوا قدسيتها بشر الأفعال...

أصبحت هذه الجزيرة مرتعا لليهود والنصارى والمشركين، والفسقة وشذاذ الآفاق، يقيمون فيها حفلات الغناء والرقص، والتعري السفور، وأصبح استقدام الفجرة والفاجرات من كل أنحاء العالم مرحبا بهم ليطؤوا جزيرة الإسلام، ويفسدوا فيها، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وباختصار شديد، أصبحت جزيرة العرب حمى مستباحا لكلّ عدو لهذا الدين، يستقبل حكامها على أرضها رؤساء اليهود والنصارى، فنرى أحدهم يستقبل رأس الكفر من النصارى بابا الفاتيكان، وهذا يسمح له بإقامة قداس على أرض هذه الجزيرة، وذاك يحدث دينا جديدا فيها سماه الدين الإبراهيمي، بينما يبدد آخر مئتين وعشرين مليار دولار من أموال المسلمين، ليقيم أكبر تجمع للكفار، ورعاع الخلق فيما يسمى بكأس العالم، وصفه بأنه مناسبة إنسانية كبرى. ويا سبحان الله هل كأس العالم مناسبة إنسانية تستحق أن ينفق عليها مئتين وعشرين مليار دولار؟ ويا ترى أين هذه الإنسانية المزعومة من المشاهد المأساوية الكبرى التي تتناولها شاشات القنوات الفضائية منذ سنوات، لمعاناة ملايين المسلمين، الذين يكابدون الجوع والبرد والمرض والتشرد في مخيمات اللجوء والنازحين، في اليمن والصومال، والعراق وبلاد الشام وغيرها من بلاد المسلمين. مئتان وعشرون ألف مليون دولار يا عباد الله، لو وزعت على جميع سكان اليمن البالغ ثلاثين مليونا لصار نصيب كلّ فرد منهم أكثر من سبعة آلاف دولار، ولو افترضنا أنّ كلّ خمسة أفراد عائلة، لصار نصيب كلّ عائلة خمسة وثلاثون ألف دولار، تعادل أكثر من مائة وثلاثين ألف ريال سعودي، يستطيع رب كلّ عائلة أن يبني له بيتا مناسبا بأربعين ألفا، وبالتسعين ألف المتبقية يستطيع أن يقيم بها مشروعا يتكسب منه، يكفل له ولعائلته حياة كريمة ما شاء الله من السنين. ولو افترضنا جدلا أن كأس العالم مناسبة إنسانية كبرى تستحق أن ينفق عليها كلّ تلك المبالغ الفلكية لمقابلة متطلبات المونديال البذخية من الملاعب ومرفقاتها والبنى التحتية وغيرها، أما كان يا حاكم قطر، من الأجدى والأولى كذلك أن تنفق ولو عشر هذه المبالغ في بناء وحدات سكنية دائمة لإعادة توطين مئات الآلاف من إخواننا المسلمين المهجّرين في الخيام منذ أكثر من عقد من الزمان في بلاد الشام؟ ويا حاكم قطر، إذا لم تفعل ذلك في السابق، بناء على موازنات وحسابات سياسية، فيا ترى هل ستدفعك مشاهد الزلزال المأساوية، على تدفق مشاعرك الإنسانية الجياشة، لتنفق بسخاء على إعادة توطين المهجّرين من كارثة الزلزال، مثل ما أنفقت على كأس العالم، أم أن مآسي المسلمين الكبرى نصيبها كالعادة منكم

يـا حـكّام دويـات الخليـج؛ الفتـات، وجرعـات مـن مسـكنات الصدمـة، بضـع عشـرات مـن الجسـور الجويـة، تحمـل المزيـد مـن الخيـام والبطاطيـن والسـلال الغذائيـة.

وهـذه الأمـوال التـي يبددهـا حاكـم قطـر علـى مناسـبته الإنسـانية الكبـرى، مـا هـي إلا نمـوذج وغيـض مـن فيـض عشـرات مليـارات الـدولارات مـن أمـوال المسـلمين، التـي يبددهـا حـكام جزيـرة العـرب علـى مسـابقات ومهرجانـات التـرف، وصناعـة الترفيـه التـي تعـج بهـا دويـلات الخليـج، ناهيـك عـن سـرقات مئـات المليـارات مـن الـدولارات، مـن أمـوال النفـط والغـاز، التـي تصـبّ كلّهـا فـي خزائـن البنـوك الأمريكيـة منـذ عشـرات السـنين.

كل ذلـك يـحـدث يـا عبـاد الله علـى مـرأى ومسـمع مـن الجميـع، دون نكيـر أو اتخـاذ خطـوات عمليـة جريئـة لتغييـر هـذه المنكـرات العظـام، وإنّ حكامـا يقومـون بهـذه الأفعـال المشـينة، لاسـيّما تبديلهـم لشـرع الله، وموالاتهـم للكفـار، وحربهـم لـكل مـا هـو إسـلامي حتـى ولـو كان اسـما أو رسـما، وزجهـم للعلمـاء والمصلحيـن والمجاهديـن فـي السـجون، وتسـهيلهم للعلمانييـن والليبرالييـن وكلّ عـدو لهـذا الديـن، الوسـائل والسـبل للطعـن فـي الإسـلام ونبيـه والصالحيـن مـن السـلف والخلـف، فهـؤلاء الحـكام وجـب خلعهـم، والخـروج عليهـم، وعـدم إقرارهـم علـى هـذه الأفعـال، وهـذا واجـب بإجمـاع العلمـاء، لأن مـا يقترفـه هـؤلاء الحـكام كفـر بـواح مخـرج مـن الملـة، قـال القاضـي عيـاض رحمـه الله: أجمـع العلمـاء علـى أنّ الإمامـة لا تنعقـد لكافـر، و علـى أنـه لـو طـرأ عليـه الكفـر انعـزل -إلـى أن قـال- فلـو طـرأ عليـه كفـر وتغييـر للشّـرع أو بدعـة خـرج عـن حكـم الولايـة، وسـقطت طاعتـه، ووجـب علـى المسـلمين القيـام عليـه وخلعـه، ونصـب إمـام عـادل، إن أمكنهـم ذلـك، فـإن لـم يقـع ذلـك إلاّ لطائفـة وجـب عليهـم القيـام بخلـع الكافـر. انتهـى

فيجـب علـى المسـلمين فـي كل مـكان عامـة وفـي جزيـرة العـرب خاصـة، القيـام بهـذا الواجـب المتحتـم، ويجـب علـى العلمـاء وطلبـة العلـم والدعـاة والمصلحيـن عـدم السـكوت علـى هـذه الجرائـم التـي يقـوم بهـا هـؤلاء الحـكام، ويجـب عليهـم بيـان حـال هـؤلاء الحـكام لعامّة المسـلمين، وتحريضهـم علـى الخـروج عليهـم، وعـدم طاعتهـم، وأن لا يكونـوا عونـا لهـم، ولا مـن جنودهـم وحرّاسـهم....

وليعلـم الجميـع أن فـي السـكوت علـى هـذا المنكـرات، وعـدم إنكارهـا مفاسـد ومضـار أعظـم ممـا يتوهمـه المتوهمـون، نتيجـة خلـع هـؤلاء الحـكام والخـروج عليهـم.... فيـا أيهـا الموحـدون، يـا أحفـاد خالـد ومصعـب والمثنـى أنتـم اليـوم أمـام معركـة تغييـر كبـرى لهـذه المنكـرات العظـام، لا يسـع أحدكـم أن يتخـاذل عنهـا أو يديـر وجهـه لغيرهـا.... إنهـا معركـة يدفعكـم إليهـا دينكـم قبـل كلّ شـيء، معركـة سيسـألكم الله عمـا قدمتمـوه

بل أصبحت هذه الجزيرة مرتعا لليهود والنصارى والمشركين، والفسقة وشذاذ الآفاق



فجعلوا هذه الجزيرة معسكرا لمجندي ومجندات الصليبيين الأمريكيين وغيرهم، في احتلال سافر لمعقل الإسلام

معسكراً لمجندي ومجنداتِ الصليبيين الأمريكيين وغيرِهم

فيهـا، وعمـا بذلتمـوه فـي أحداثهـا، فـلا تتأخـروا عنهـا، فإنمـا ذلـك هـذه الأمـة عندمـا تخـاذل أفرادهـا عمـا أوجبـه الله عليهـم، وعلـى رأس ذلـك الجهـاد.

وبـدون شـك سـيكون لخوضكـم لهـذه المعركـة تداعيـات عظيمـة، وتكاليـف وتبعـات باهظـة، لكنـه لا خيـار لكـم سـوى خوضهـا، فأنتـم اليـوم أمـام خياريـن اثنيـن لا ثالـث لهمـا، فإمـا أنتـم تصبـرون علـى تداعيـات وتكاليـف هـذا الواجـب المتحتـم، أو روضـوا أنفسـكم علـى مزيـد مـن التيـه والإفسـاد، وإشـاعة الفاحشـة والإباحيـة والإلحـاد، الـذي يشـيعه بجنـون حـكام جزيـرة العـرب وعلـى رأسـهم بـن سـلمان وأبنـاء زايـد وبـن مكتـوم الذيـن يهدفـون لسـلخ فتياتكـم وشـبابكم المسـلمين مـن الديـن. روضـوا أنفسـكم علـى مزيـد مـن الخـوف والـذل والهـوان والضنـك، الـذي تدفعونـه كارهيـن علـى موائـد وشـهوات هـؤلاء الحـكام، وفـوق كلّ ذلـك تربصـوا وارتقبـوا مزيـد مـن عـذاب الله ونقمتـه وسـخطه فـي الدنيـا قبـل الآخـرة. وليـس عنكـم ببعيـد مـا يحـدث حولكـم مـن كـوارث ونكبـات وفواجـع، والسـعيد مـن اتّعـظ بغيـره، قـال تعالـى:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾

وقال الله سبحانه في كتابه الكريم:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ٧٨﴾

وقال سبحانه:
﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ وقال تعالى:
﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

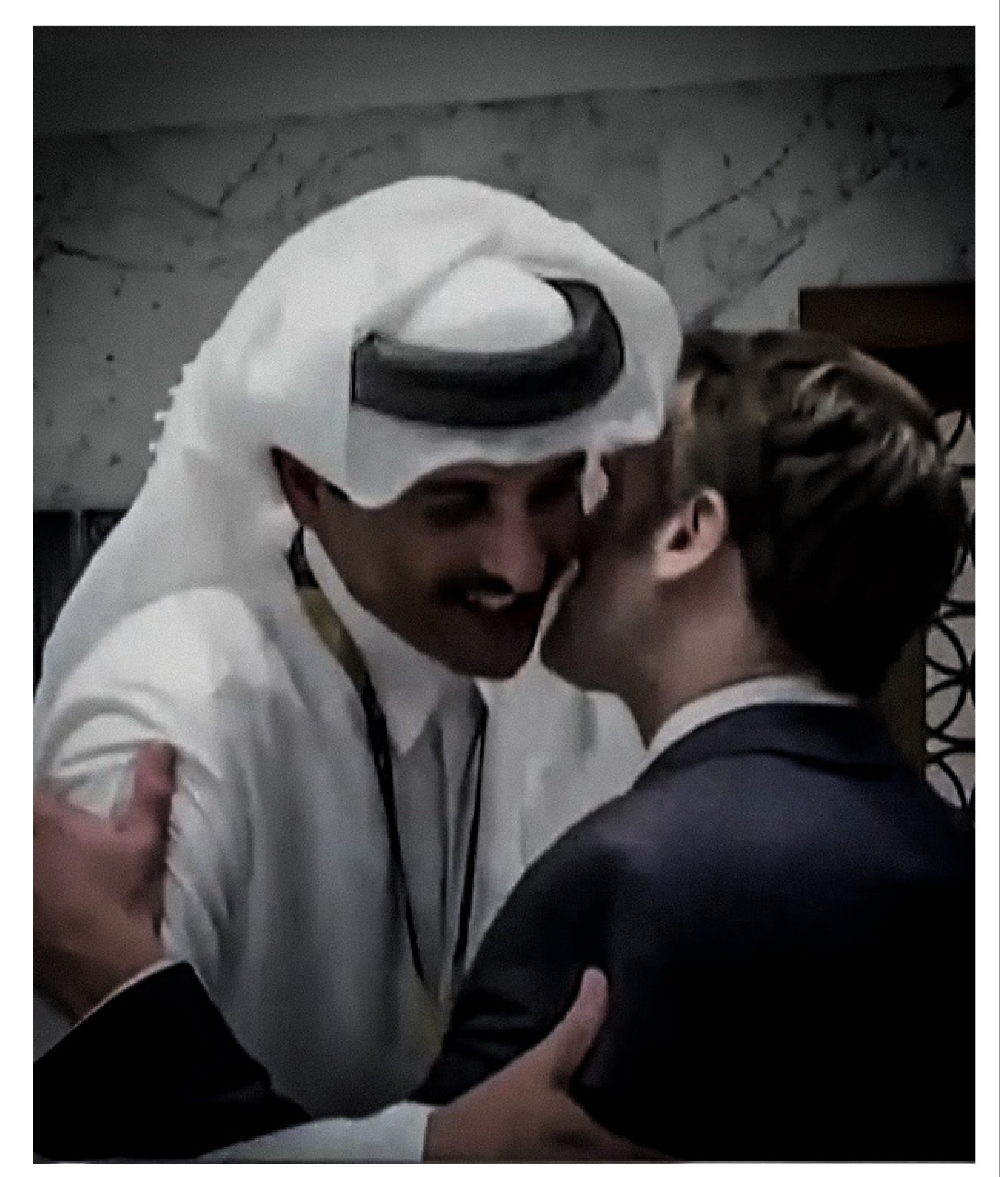
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنّ النّاس إذا رأوا الظّالم فلم يأخذوا على يديه أو قال: المنكر فلم يغيّروه عمّهم الله بعقابه » رواه ابن ماجة وصححه الألباني، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: « ما من نبيّ بعثه الله في أمّة قبلي إلا كان له من أمّته حواريّون، وأصحاب يأخذون بسنّته، ويقتدون بأمره، ثمّ إنّها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل» رواهما مسلم في صحيحه.

فيا أمة الإسلام ويا أيها المسلمون في جزيرة العرب، مرة أخرى نكرر ونقول... هذه جزيرة الإسلام، بها أقدس مقدسات المسلمين، الحرمين الشريفين، يعيث هؤلاء الحكام

ويا حاكم قطر، إذا لم تفعل ذلك في السابق، بناء على موازنات وحسابات سياسية ...



فيا ترى هل ستدفعك مشاهد الزلزال المأساوية، على تدفق مشاعرك الإنسانية الجياشة، لتنفق بسخاء على إعادة توطين المهجّرين من كارثة الزلزال



المجرمون فيها فساد، ويحاولون تمييع مكانة هذه الجزيرة في نفوس المسلمين، ويجعلونها حمى مستباحا لأعداء الله، فماذا نحن فاعلون؟ هل سنسكت ونستكين، ويطيب لنا العيش أمام هذه المنكرات العظام، أم سنأخذ بالعزم والعزيمة وبزمام المبادرة لإنكارها، وقلب الموازين على هؤلاء الحكام المرتدين، وأولياهم من الكافرين، ونطهر جزيرة الإسلام من رجسهم ودنسهم، ونحقق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» . .

أيها المسلمون كفانا تقاعسا وتكاسلا عن القيام بالواجب الذي علينا، تجاه ديننا ومقدساتنا وإخواننا المسلمين في كلّ مكان، وعلينا أن نشدّ أعضاد بعضنا بعضا، ونشمرّ عن ساعد الجدّ، ونعدّ عدتنا؛ للقيام بواجبنا، والتعاون على نصرة الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، لإخراج أنفسنا وأمتنا الإسلامية من التيه الذي تعيشه، ووالله ثم والله لئن قمنا بهذا فإن الله معنا، وهو حسبنا وناصرنا على أعدائه، قال رب العزة:
﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾
وقال سبحانه:
﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

وقال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾
قال العلامة السعدي رحمه الله: هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبّت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبّر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أنّ الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره. انتهى.

ختاما: أسأل الله أن يطهر جزيرة الإسلام، وسائر بلاد المسلمين من دنس أعداء الدين أجمعين، وأن يوفقنا وإخواننا المسلمين لنصرة الدين، وأن يعيننا على ذلك ويمدنا بمدد من عنده، اللهم يا ذا الجلال والإكرام أنصر عبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم وأحيي قلوبنا ووحدها ضدّ أعداء الدين أجمعين، اللهم وأخز أعداءك، واقذف الرعب في قلوبهم، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وانصرنا عليهم يا قوي يا عزيز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- - -

عمليات
نيروبي ودار السلام

للشيخ أبي محمد المصري

مقتطفات من الكتاب*

ذكريات قصر الملك ظاهر شاه

جاءنا أحد الحراس من الإخوة الأفغان، وقال بأن هناك ثلاثة من العرب يرغبون في مقابلتكم، وبعد تعريف أنفسهم، سُمح لهم بالدخول، وكنتُ في استقبالهم، وقد أوصاني الشيخ أسامة --رحمه الله- بحسن استقبالهم، وإكرام وفادتهم، والتلطف معهم، كما هي عادتنا مع كل الضيوف الوافدين إلينا...

لقد كان وفداً من مسؤولي الخلافة الإسلامية التي أعلنها بعض الإخوة العرب سنة 1992م قبل سقوط العاصمة كابل، واعتبروا هذا الإعلان ضرورة شرعية، ويجب على الجميع أن ينضوي تحت هذه الراية الجديدة للانطلاق نحو الأقصى.

صحيح أنه لم ينضو تحت هذه الراية حينها إلا القليل، إلا أنهم شكلوا من أنفسهم خلافة وأميراً للمؤمنين وديواناً لأمير المؤمنين، ووزيرا للحرب ، وديوانا للحسبة ..الخ ، واتخذوا من ولاية «بكتيكا» مقراً لهم.

استقبلتُ الوفد في الباحة الخارجية للقصر وهو المكان المعتاد لاستقبال الوافدين إلينا، وفي ظل إحدى الأشجار جلسنا على حصير من الخوص لتناول الشاى .. تبادلنا التحيات والسلامات خاصة وأن اثنين من الوفد كانت لي بهم معرفة سابقة، فقد تدربا في معسكر الفاروق يوم أن كنتُ أميراً للمعسكر، والثالث كان أحد طلبة العلم لم ألتقه من قبل، وكان من بلاد الخليج ومن الكويت على وجه التحديد.

بدأت الحديث بلطف العبارات والسؤال عن أحوال الإخوة العرب الموجودين في جلال آباد، وذكروا لي عدداً محدوداً منهم، ثم تحوّل الحديث من جانبهم عن سبب الزيارة وأنهم جاؤوا كرُسل من طرف الخليفة لدعوتنا لبيعة الخليفة، وقدّموا أنفسهم على حسب مسؤولياتهم ووظائفهم.

- وزير الحرب.

* سينشر الكتاب قريبا إن شاء الله





- كاتب ديوان أمير المؤمنين.
- الأخ الكويتي اكتفى مشكوراً بأنه طالب علم رافق الأَخَوَان لمناقشة أيّ اشكالية شرعية قد تطرأ أثناء الحوار.

وبدأوا في عرض نشاطهم ودعوتهم، وذكروا كثيرا من العقبات التي واجهتهم، وكيف تخطوا هذه العقبات .. كان بعض هذه العقبات خارج إطار أفراد الخلافة خاصة من بعض الكومندانات الأفغان الذين خافوا على رياستهم ومكتسباتهم على حسب كلام الوفد!، وبعضها من داخل أفراد الخلافة، وقد تم تجاوزوها بصعوبة كبيرة .. وحتى هذه اللحظة لم أكن أعرف من هو الخليفة!

فقلت لهم بأدب وهدوء .. من الخليفة؟.

قالوا : الشيخ أبو همام.

وكنت أعرفه سابقا، فقد كان يخطب في مسجد الخوص في بيشاور.

قلت لهم .. كيف تم اختيار الخليفة؟.

قالوا .. كان من المقرر أن يكون الخليفة شخص آخر من الجزيرة العربية ولكنه مُنع من السفر فتم اختيار الأخ أبي همام لتوفر الشروط في صحة إمامته!! خاصة وأنه قُرشي.

قلت لهم بهدوء .. أنتم تعرفون أننا قد رجعنا من السودان منذ وقت قصير، وما زلنا ندرس الساحة الأفغانية مع مواصلة برنامج تدريب ودعم الإخوة الطاجيك، وهذا برنامج قديم ونريد تنشيطه وتقويته، ويحتاج منّا إلى مجهود كبير، فأنتم تعملون في برنامجكم، ونحن نعمل في برنامجنا، ونتعاون فيما بيننا على قدر الاستطاعة ..

ثم تطرق الحديث لمواضيع مُتفرقة، وبعد الصلاة تناولنا الغداء، واستأذنوا في الذهاب على أن نلتقي مرة أخرى إن شاء الله تعالى.

جاءنا خبر من السودان بأن المجموعة الثانية ستتحرك إلينا خلال أيام وكان هذا الخبر بمثابة مرحلة عمل مكوكية لتجهيز ما يلزم لهذه الأسر، فمجموعتنا الأولى لم يكن برفقتنا أحد من العائلات، لذلك كان ترتيب أمورهم أمراً سهلاً وميسوراً، أمّا وجود العائلات فيلزم منه ترتيبات جديدة وإداريات خاصة.

نجم الجهاد

وهذه منطقة تابعة للشيخ يونس خالص وكانت منطقة مُسطحة كبيرة قسّمها الشيخ يونس رحمه الله بين الإخوة المجاهدين الذين عملوا معه ورافقوه سنوات طوال في مسيرته الجهادية وكانت بها بعض البيوتات المتفرقة، وبئر كبير يتوسط المكان، وكان .... حفظه الله وهو أحد الإخوة المقربين من المهندس محمود والشيخ يونس خالص، وتربطه علاقة طيبة وقوية بالمجاهدين العرب عموما وبنا على وجه الخصوص، ويتحدث العربية بشكل جيد، عرض علينا أن نأخذ قطعة الأرض المخصصة له ولأسرته في نجم الجهاد ونبني عليها بيوتاً للإخوة القادمين، وقد كانت قطعة أرض كبيرة تكفي لبناء عدد كبير من البيوت، ولكن بقيت المشكلة قائمة، فالبناء بحاجة إلى وقت طويل لإتمامه، وفكرنا في الأمر كيف سنستقبل تلك الأسر هل نبحث عن بيوت للإيجار في المدينة وهذا أمر ليس بالسهل في مدينة مثل جلال آباد والوقت لن يكفي، واستقر الأمر على إقامة خيام في المحيط الخارجي للقصر تكفي لجميع الأسر القادمة، وتم تكليفي بهذا العمل على أن يتم خلال أيام، وهذا يتطلب عدد كبير من العمال ومن المواد اللازمة لإتمام المشروع.

خيام في مزارع البرتقال

المطلوب : عدد من العمال - أدوات للحفر وتسوية الأرض - خيام - حصير لعمل سياج حول كل خيمة - أخشاب للحمامات. شوالات - خيوط وإبر كبيرة - بُشك ماء - أزيار وقلل ..





طلبنا من الإخوة الأفغان إحضار عدد من العمال لبدء العمل بعد أن قمنا بشراء مايلزم من أدوات العمل .. وفي صباح اليوم التالي كان العمال يقومون بتسوية أماكن الخيام بين أشجار البرتقال، ولم يمض سوى خمسة أيام حتى كانت الخيام جاهزة لاستقبال أكثر من عشرين أسرة، وكل خيمة لها سياج خاص يحيط بها وحمام ومطبخ بشكل متواضع جداً على طريقة المجاهدين.

بعد يومين من إتمام العمل جاءت الأخبار بقرب وصول الطائرة التي تحمل الإخوة والأخوات، وكُنّا في استقبالهم ساعة وصولهم، وقد وصلوا إلينا بعد رحلة من المعاناة والشدة في طائرة شحن تم استئجارها من إحدى الشركات العاملة في السودان، ونزلت جميع الأسر في الخيام المعدة لها مسبقا، لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الهجرة الثانية إلى أفغانستان.

كان الجو حاراً والخيام غير مُجهزة بوسائل تبريد، وجلب المياه فيه مشقة على الكبار والصغار، ووسائل الطهي كانت مُزعجة للأخوات، وكثير منهم لم يعتادوا مثل هذه الحياة، ومع ذلك فليست هناك كبير مُشكلة ..

بدأت العائلات في الدخول إلى القصر صباحا والبقاء هناك حتى صلاة العصر تفادياً لحرارة الشمس القوية والرطوبة العالية، وشيئاً فشيئاً بدأت بعض الأسر بالإقامة داخل القصر حتى تم احتلاله بالكامل.

في تلك الأثناء كان العمل يسير بشكل سريع في نجم الجهاد، فقد تم تكليف الشيخ أبو همام الغريب رحمه الله والشيخ أبو حفص العرب رحمه الله بالإشراف على عملية البناء هناك، وقد قطعا شوطاً كبيراً في بناء المجّمع السكني في وقت قياسي لم يتعد الشهرين.

أرانب في قصر الملك

بعد أن تم احتلال القصر تماما، بدأت العائلات في جلب بعض الطيور من السوق كالبط والدجاج والديك الرومي، ولم يخلُ الأمر من الأرانب حتى أصبحت باحة القصر الداخلية تبدو وكأنها حديقة للطيور والأرانب بمختلف الأشكال والأحجام.

ذات يوم ونحن وقوف في الباحة الداخلية للقصر، رأينا بطة تندفع بقوة من ماسورة تصريف المياه لإحدى بلكونات الطابق العلوي وهي تترنح، فقد ذبحوها في الأعلى فسقطت في الماسورة واندفعت للخارج ومازالت تجرى في الحوش وسط صرخات الصغار...

ضحكنا وضحك الجميع فقد كان مشهداً عفوياً يدل على بساطة حياة ومعيشة المجاهدين حتى ولو كانوا في قصر الملك.

وبعد أيام بشّرتني زوجتي الغالية بثلاثة توائم، فقد أخذتني إلى السلم العُلوي للقصر لأرى أرنبتنا الجميلة وأبناءها الثلاثة التي وضعتهم منذ أكثر من أسبوعين وقد ظهرت ألوانهم الجميلة الزاهية.

وقالت وهي تضحك: (خليتها لك مفاجأة)

قلت : الحمد لله إن ظاهر شاه في إيطاليا!

وهكذا بدأ جيل جديد من الأرانب والطيور يملأ باحة القصر الداخلية بعد أن كان ممتلأ بالحراسة والخدم وظلم الملك.

تورا بورا

كان الشيخ أسامة رحمه الله يرغب في مكان أكثر أمنا من القصر وتكلم مع الشيخ يونس خالص رحمه الله بهذا الشأن فأخذنا في رحلة مُمتعة جميلة بين الجبال والوديان إلى منطقة تورا بورا حيث كانت تلك المنطقة نقطة الانطلاق الأولى للشيخ يونس خالص ومجموعته في جهاده ضد الاتحاد السوفيتي ..

كان المكان بديعاً .. فأشجار الجوز تملأ المكان والجبال الشاهقة مكسوة بالخضار وكأنها ألبست حلة خضراء بهية حيث تنتشر بها أشجار الصنوبر الشاهقة والمياه الصافية تجري في قناة رقراقة بديعة أمّا الوديان فكأنها أنهار تجري من كثرة تدفق مياهها.

كان هناك غرفتين ومسجداً وبعيداً في طرف الجبل يقع المطبخ الأفغاني المعروف...كما كان المكان محصنا تحصينا طبيعيا وبه نقاط حراسة تابعة للشيخ يونس خالص بقينا في ضيافة الشيخ يونس رحمه الله ذلك اليوم وفي اليوم التالي كنّا نحن أصحاب المكان فقد قرر الشيخ أسامة رحمه الله عدم مغادرة المكان فقد كان مكاناً مثالياً لإقامة المجاهدين بالإضافة لسحر مناظره الخلابة ، وهوائه النقي الذي يُضفي على ساكنيه هدوء البال وصفاء التفكير.

ولنا في جبال تورا بورا ذكريات كثيرة شيّقة ولكن سأقتصر هنا على ما يتعلق بموضوع عملنا ضد الأمريكان واليهود .. فمن هذا الجبل وداخل إحدى غرفه الصغيرة كان بيان إعلان الجهاد العالمي ضد اليهود والصليبيين والذي كان بمثابة نقطة تحول في طبيعة الصراع بيننا وبين الأمريكان .. فبعد أن كان الجهاد محلياً محصوراً بحدود جغرافية مُصطنعة أصبح يأخذ بُعداً عالمياً في محاولة من تنظيم القاعدة حينها لإحياء مفاهيم ومعان قد اندرست وإزالة لركام الماضي الذي خلّفه الاستعمار الصليبي.

هذا البيان كان لابد أن يرافقه عمل على الأرض وكان هذا هو السؤال الأول والأهم لدى جميع الصحفيين والمراقبين الذين جاؤوا تترا لعمل لقاءات صحفية مع الشيخ أسامة رحمه الله.

وفي تورا بورا تمت بعض اللقاءات الصحفية مع الشيخ أسامة رحمه الله كان من أشهرها اللقاء الصحفي مع صحيفة القدس العربية والذي أجراه رئيس التحرير الأستاذ عبدالباري عطوان وقد كان لهذا اللقاء صدى كبيراً خاصة وأن الأستاذ عبدالباري عطوان اختار مانشيتات جذابة للقارئ وجعل اللقاء عبارة عن حلقات وجعل من رحلته إلى تورا بورا حديثا مُشوّقا للقارئ والمستمع وهذا أمر طبيعي لصحفي مُحترف مثله. وكان من أبرز الأسئلة التي وجهها للشيخ أسامة.

أخرجتم البيان ولكن أين ترجمته على الأرض ؟

وأين وجهتكم القادمة ؟

لقد كان الجميع يسأل عن العمل ضد الأمريكان وكيف ستكون طبيعة العمل ؟ وشكله ؟ خاصة وأن الكثيرين يُشككون في إمكانية ضرب الأمريكان الذين يمتلكون كل الإمكانيات لكشف أيّ عمليات ضد مصالحهم...فهم يمتلكون أرقى التقنيات الحديثة... وجهاز السي آى إيه هو أكبر وأنشط جهاز استخباراتي في العالم وضمن لوائحه الوظيفية ملوك ورؤساء! وبقية رؤساء وملوك العالم وأجهزتهم في خدمة السيد الأمريكي.. فضرب المصالح الأمريكية في داخل أمريكا أو خارجها أمر في غاية الصعوبة إن لم يكن مستحيلا.

هذه نظرة الآخرين !

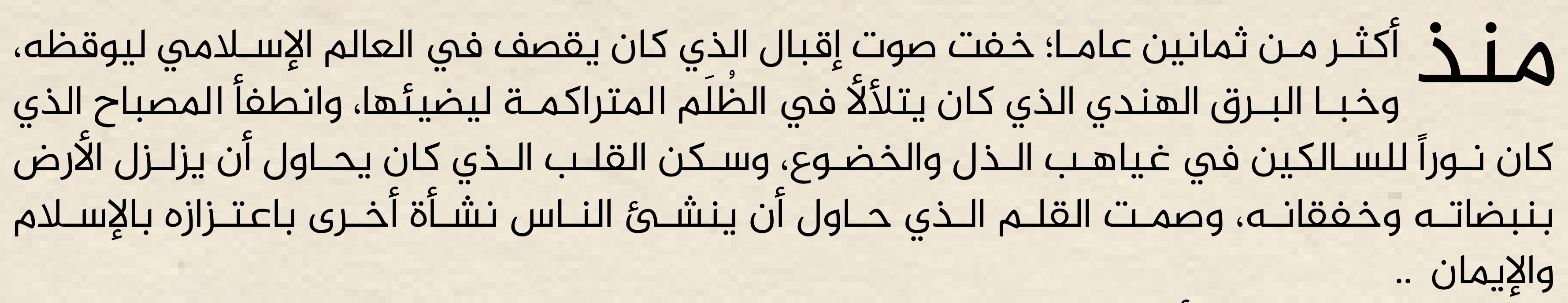
أمّا نظرتنا فعلى النقيض تماما فيوم أن أخرجنا البيان الشهير بإعلان الحرب على الأمريكان كانت ثقتنا بالله كبيرة وعزمنا قويُ وإرادتنا صلبة ومصممون بعون الله وتوفيقه على ضرب الأمريكان خارج أمريكا وداخلها.

وفي نجم الجهاد كان الحديث يدور حول ضرورة الإسراع في ضرب الخصم ضربة نوعية وكانت الأهداف التي طرحناها في النقاش كثيرة وكبيرة... وبالفعل تم الاتفاق على استهداف أحد الأهداف المهمة في اليمن وتم تكليفي بهذا العمل.

الجهاد والقتال في فلسفة وأشعار محمد إقبال رحمه الله

رحمة الله عليه

بقلم خطاب الهاشمي



منذ أكثـر مـن ثمانين عامـا؛ خفت صوت إقبال الذي كان يقصف في العالم الإسـلامي ليوقظه، وخبـا البـرق الهندي الذي كان يتلألأ في الظُلَم المتراكمـة ليضيئها، وانطفأ المصباح الذي كان نـوراً للسـالكين في غياهـب الـذل والخضـوع، وسـكن القلـب الـذي كان يحـاول أن يزلـزل الأرض بنبضاتـه وخفقانـه، وصمـت القلـم الـذي حـاول أن ينشـئ النـاس نشـأة أخـرى باعتـزازه بالإسـلام والإيمان ..

مـات إقبـال ومـا ماتـت أشـعاره وكلماتـه، فوحـي إقبـال لا زال حيًـا طريًـا يوقـظ النفـوس الهاجـدة، ويشـعل الهمـم الخامـدة، بـل يكاد يبعـث الأموات مـن قبورهم، ويكفيـه أن أشـعاره لا زالت تنتفض حيـة تسـتنهض شـباب الأمـة لمضمـار المعركـة، لذلـك كنـا قـد اسـتأنفنا آنفـا الـكلام في مقالين عـن أدب إقبـال وشـعره، وفي جزئنـا الثالث من هذه السـياحة الأدبية، سـننيخ المطايا عند معارك إقبال مع أعداء الجهاد والقتال في سـبيل الله، ومسالكه في تبديد شـبهاتهم، وتسـفيه آرائهم، والحـط مـن عقولهم، وتحقير فهومهـم، وطريقته في انتصاره لمذهب الجهـاد والمقاومة ورجاله، ودحضـه لحجـج مذهب المسـالمة وأصحاب المسـلك (الخـروفي)، فبالله نسـتعين ونتأيد.

• إقبال ومشاجراته مع أعداء الجهاد والمجاهدين

لشـاعر الإسـلام محمد إقبال -رحمه الله- صولات وجولات في الدفاع عن شـعائر الإسـلام وشـرائعه لا سـيما الجهـاد في سـبيل الله، كمـا أن لـه ردود ومناقشـات ومماحكات مع المخذليـن والمبطئين والمعوقيـن عـن الجهـاد في سـبيل الله، فهجا كثيرا منهم في أشـعاره، وانتقدهـم نقدا لاذعا في مراسـلاته وكتاباتـه، ويكفيـه جـرأةً أنـه عمـد إلى إمـام من أئمـة الأدب والشـعر والتصوف، وعظيم مـن عظمـاء هـذه الصناعـة، فحـط مـن شـأنه، وغـضَّ مـن طريقتـه، ونهـى النـاس عنـه، وحذرهم منـه، وأعنـي بذاكـم: حافـظ الشـيرازي المعـروف في الأوسـاط الأدبيـة بــ (لسـان الغيـب)، ، ذلكـم لأن أشـعاره وقصائـده الموغلـة في التصوف؛ كانـت ضمـن أدوات التعويـق المبطئـة عـن النفيـر لمضمـار الجهـاد وثغوره، ولـم يسـتطع إقبـال أن يهضم فكـرة حافـظ في جعلـه لشـهيد العشـق أخيـر وأفضـل مـن شـهيد المعارك، وكان حافـظ يدعي أن شـهيد العشـق قتيل حب الله ورسـوله، وأمـا المجاهـد الغـازي الشـهيد فهـو قتيـل العـدو، فقتيل حب الرسـول من هـذا الوجـه أفضل منه، فشـن عليـه إقبـال الغـارات، مُسَـفِّهًا رأيه آنفـا، وكان ممـا قاله منتقـدا: (إن هذا جميل في الشـعر، لكنـه خدعـة لإبطـال الجهـاد) إلى أن قـال: (فيا أيهـا النـاس: احذروا حافظًـا أسـير الصهبـاء، فإن في كأسـه سـم الفنـاء، وليس في سـوقه إلا المدامـة، إنـه فقيه ملـة المدمنين، وإمام أمة المسـاكين)، وازداد حنـق إقبـال عليـه حينمـا صنَّـف حافظـا الشـيرازي وأفلاطـون اليونانـي مـن فصيلـة الغنـم والأنعـام، فوصفهـم بــ (الشـياه والخرفـان) تمثيـلا لضعفـه، وقـال مغاضبًـا: (إن حافظ شـاةُ عُلِّمَتِ الغنـاء، والـدلال، والفتنـة العميـاء، وهـو أزكى من شـاة اليونـان -يعنـي: أفلاطـون-، ففـروا وابتعدوا مـن كأسـه، فـإن فيهـا لأهـل الفِطَنِ خَـدَرًا كحشـيش أصحاب الحسـن -يقصد الحسـن الصبـاح قائد فرقة الحشاشـين-).

وكيفما كان الشأن؛ فإن من دأب إقبال التحذير من الأشعار التي تظهر في أزمنة ضعف الإسلام والمسلمين على المسرح السياسي، لأن الضعف إذا أصاب أيَّ أمةٍ فإنه يُغَيِّرُ من أنظار أدبائها ومفكريها لحقائق الملة، وآراء شعرائها وعلمائها في ثوابت الدين، فتصبح لديهم شعائر الذل والاستكانة والخضوع مستساغة فيهم، ثم يكون دين الذل هو الدين الوسطي المعتدل لديهم، وقد أبدع إقبال حين قال:

تَبَدَّلْت فَاجْهَدْ أَنْ تُبَدِّلَ شِرْعَةً   فَلَيْسَ يُطِيْقُ الظَّبْيَ شِرْعَةَ ضَيْغَمِ

وفي (ضرب الكليم) يقول إقبال: (إن الأمة الإسلامية قد ضعفت عن شريعة القرآن، فحاولت أن تبدل القرآن ليلائمها، ولم تحاول أن تغير نفسها لتلائم القرآن)...

من هذا المنطلق ذهب إقبال ليوظف شعره في نصرة الجهاد في سبيل الله، فتارة يحرض ويستنفر، وتارة يرد الشبهات، ويدرأ المشاغبات، ويبدد المبطئات، ويدحض المعوقات، وهو في كل ذلك لا تزيغ عيناه عن شخص المجاهد ورسمه، فهو بظنه الشخص الأقدر على تغيير الكون والحياة إلى الأفضل..

ذلك ظن إقبال في المجاهدين الصادقين، فلهذا قال:

إيهِ يا فَارِسُ طِرْ في الزَّمَنِ   إيهِ يا نورًا بِعَينِ المُمْكِنِ
قُمْ فَسَكِّنْ مِن ضجيجِ الأممِ   واملأ الآذان حُلْوَ النَّغَمِ
جَدِّدَنْ في الناسِ قانونَ الإخاءْ   وأَدِرْهَا كأسَ حُبٍ وصَفَاءْ
أَرْجِعَنْ في الأرضِ أيامَ الوئامِ   أَبْلِغِ الناسَ رِسَالاتِ السَّلامِ
لِبَنِي الإنسانِ أنتَ الأمَلُ   أنتَ مِنْ رَكْبِ الحياةِ المنزلُ
أَذْبَلَتْ كَفُّ الخريفِ الشَّجَرَا   فَاغْدُ في الروضِ ربيعًا نَضِرَا

وفي إحدى قصائد إقبال الرائعة، صوَّر للقارئ دور دعاة السوء والمخذلين والمرجفين في إفساد الأمة الإسلامية وجهادها في سبيل الله، وأبان عن خسة ذلك الدور البغيض الذي يضطلع به بعض الدعاة والعلماء حين يفتون بتجريم الجهاد وتحريمه، ووجوب الخضوع إلى السلم والتعايش مع الظلم والظالمين، والتطبيع مع الاضطهاد والاحتلال، فكشف إقبال بشعره ذلك الدور الإفسادي، وشبَّه دورهم بدور كبش جاء إلى ثلة من الآساد والضراغم، فزعم لهم أنه نبي مبعوث فيهم، وقد أرسله الله تعالى إلى أمة الليوث والنمور ليدعوهم إلى الزهد والاستكانة والتصوف والسلام والوئام مع الآخر، وأن الله حرم عليهم قتل الصيد ما داموا ليوثًا، وحرم عليهم إرهاب الضباع المعتدين، وسفك الدماء وأكل اللحوم، ثم تعقب إقبال هذا الزعم الخائر، فنصح آساد الجهاد بأن تعتد بقوتها، وتثق بأنيابها وذواتها، وذكرها بأن من واجبات الأسود والليوث في الحياة أكل اللحوم لا مضغ العلف، وتعزيز نزعة التغلب على الأعداء، والصول على الصائلين والمعتدين، فقال إقبال:

كانتِ الأُسْدُ جِهَادًا مَلَّتِ   نَازِعَاتٍ نحو عَيْشِ الدَّعَةِ
عَنْ هَوًى أصغتْ إلى النُّصْحِ المُنِيمِ   فَدَهَاهَا الكَبْشُ بالسِّحْرِ العظيم
كان أكلُ الضَّأنِ من سُنَّتِهَا   فاقتدت بالضأنِ في شِرْعَتِهَا
جَوْهَرُ الآسادِ أَضْحَى خَزَفا   حينَ أضحى قُوْتُهُنَّ العَلَفَا
ذَهَبَ العُشْبُ بِنَابٍ عَسِرِ   أَطْفَأَ الأَعْيُنَ ذَاتِ الشَّرَرِ
ذَهَبَ الإقدامُ والعزمُ الأَمَرُّ   والسَّنَا والعِزُّ والمَجْدُ الأَغَرُّ
بَرْتَنُ الفولاذِ فيها قدْ وَهَنْ   واستكانَ القلبُ في قَبْرِ البَدَنْ
وَنَمَا الخوفُ بنقصِ المِنَّةِ   قَطَعَ الخوفُ جُذُورَ النَّخْوَةِ
كُلُّ داءٍ في سُقوطِ الهِمَمِ   يجعل الأحياءَ مِثْلَ الرِّمَمِ
نَامَتِ الأُسْدُ بِسِحْرِ الغَنَمِ   سَمَّتِ العَجْزَ ارتقاءَ الأممِ

كان إقبال يرفض كل الرفض مذهب المسالمة ودعاة السلمية التي روج ولا يزال يروج لها بعض الدعاة والعلماء في الهند، وانتقد إقبال صوفية عصره وأساليبهم في التربية الترويضية، وسماها تربية تخضيعية تركيعية، لأنها تقوم على مبدأ تدجين شباب الإسلام، وسلبهم روح الجهاد والعزيمة والاستعلاء الإيماني، فكان يصفها بالتربية التي تحول الصقر الشجاع اليقظ إلى طائر الحجل الموادع، وكان من شعره هذه المقطوعة البارعة التي يصف فيها فتاوى علماء السوء بأنها أفيون مخدر وسم قاتل للشعوب المسلمة، وأنهم عار وشنار على الإسلام والمسلمين:

نَحنُ أغرارٌ بِطَاءُ الأرجُلِ   ضَلَّ سَارِينَا طريقَ المنزلِ
لَطُفَتْ في سَيرِنَا حِيلَتُهُ   وَعَلَتْ في رَكْبِنَا نَغْمَتُهُ
وَسَرَتْ في زَهرِنَا نَفْحَتُهُ   مُذْ سَرَتْ في رَوْضِنَا نَسْمَتُهُ
يا بُرودَ القلبِ من ألحانِهِ   قد شربنا السُمَّ مِن تَبْيَانِهِ
نَوَّمَتْ ألحانُهُ يَقظَتُنَا   أطفأتْ أنفَاسُهُ شُعْلَتُنَا
تَهِنُ الأعصابُ مِنْ أَفْيُونِهِ   ويموتُ الحيُّ مِنْ تَلْحِينِهِ
يَسلبُ السَّرْوُ جميلَ المَيْلِ   وَيَرُدُّ الصقرَ مِثْلَ الحَجَلِ
هُوَ حُوتٌ نصفُهُ كالآدميِّ   كَبَنَاتِ البَّحرِ تَقْتَادُ الغَوِيِّ
يُسْحَرُ الرُّبَّانُ مِنْهَا باللُّحُونِ   ولِقَاعِ البحرِ تَهْوِي بالسَّفِينِ
يَسلبُ القلبَ ثباتًا لحنُهُ   ويرى الموتَ حياةً فَنُّهُ
فَنُّه بالحقِ لا يَعْتَرِفُ   بَحْرُهُ مَا فِيهِ إلا الصَّدَفُ

في بحارِ الفكرِ يُلْقِيكَ فَلَا ... تشتهيهِ أو تُطيقُ العَمَلَا
شِعْرُهُ فِينَا يَزِيدُ الكَلَلَا ... كأسُهُ فِينَا تَزِيدُ المَلَلَا
يا دليلًا للرَّدَى أفكارُهُ ... عَطَّلَتْ مِنْ نَغَمٍ أوتارُهُ
أنت للذُّلِّ أَرَحْتَ البَدَنَا ... أنتَ للإسلامِ عَارٌ في الدُّنَى
ليسَ إلا الحِقْدُ في جَوهَرِهِ ... ليسَ إلا العَجزُ في مَخْبَرِهِ
يُلْبِسُ النفعَ لِبَاسَ الضَّرَرِ ... وَيَرَى الحُسْنَ قَبِيحَ الصُّوَرِ
يائسُ فَسْلُ حَلِيفُ الخَيْبَةِ ... شِقْوَةُ في خِسَّةٍ في ذِلَّةِ
آهِ مِن وَغْدٍ ذَلِيلٍ يَائِسٍ ... هَالِكٍ مِنْ زَكَلَاتِ الحارسِ

ثم يتوجه إقبال شطر شباب الإسلام بالنصح، ويقول لهم: لا عليكم من هذه الفتاوى الخادعة الخائنة، واهجروها واتركوها، فالقافلة تسير والكلاب تنبح، ولتمضوا بهمة وعزيمة وإصرار للجبال العظيمة الشاهقة، ابنوا هناك أعشاشكم لتقودوا أمتكم للعلياء، كبرق يقود رعدا يجلجل في السماء:

خَمْرُهُ الَّلألاءَةَ اترُكْ واحذَرِ ... كأسَهُ والطاسَ والدَّنَّ اهْجُرِ
كُلُهُمْ في قلبِهِ يَثْوِي هُبَلْ ... وَمَنَاةُ فِيهِ والعُزَّى تَحِلْ
فِيمَ هذا النوحُ مثلُ البُلْبُلِ ... وإلامَ العيشُ بينَ الظُّلَلِ
قد لبستَ الخَزَّ طولَ الزَّمَنِ ... فَأْلَفِ الكِرْبَاسَ يومًا وَاخْشُنِ
كَمْ وَطِئْتَ الوردَ في طُولِ المَدَى ... غَاسِلًا كالوردِ خَدًّا بالنَّدَى
فَعَلَى رَمْلِ الصَّحَارِي المُضْرَمِ ... أَقْدِمَنْ يومًا وَغُصْ في زَمْزَمِ
أَسْلِمَنْ رأسَكَ يومًا صَدْرَهَا ... وَأَلْفَنْ في حَرِّهَا صَرْصَرَهَا
نَيِّرُ الفِكْرِ يقودُ العَمَلَا ... مثلَ برقٍ قادَ رَعْدًا جَلْجَلَا
قد عَلَا جَدُّ الهَمَا مِنْ صَيْدِكَا ... اجْعَلَنْ في الطَّودِ مَثْوَى عُشِّكَا
ابْنِ عُشًّا حيثُ لا تَرْقَى الأنوقُ ... تَخْتَفِي فيهِ رُعُودٌ وبُرُوقْ
لِتُرَى أَهْلًا لإعصارِ الحياةِ ... وتُذِيبَ النَّفْسَ في نَارِ الحياةِ

ومما يُستحسن ذكره وإيراده في هذا المقام؛ أن إقبال سمع في الهند من بعض من كان ينتسب لأهل العلم إنكار الجهاد والقتال ضد المحتل الصليبي البريطاني لطردهم من بلاد المسلمين، زاعما أن هذا الزمن زمن السلام والوئام والجهاد بالقلم لا بالسيف، فرد عليه إقبال بأن المنبغي عليه أن يفتي للغرب الصليبي بترك القتال في الحرب العالمية الأولى، فهم من سفكوا ملايين الدماء في الحرب العالمية، والغرب هو الذي تدجج بالحديد والسلاح ليحفظ

الباطل، فكيف لا يجوز لأهل الإسلام أن يتسلحوا ليصونوا الحق ويدافعوا عن حريم الإسلام..

الشيخُ أفتى أنه عصرُ القلمْ ... مَا السيفُ فيهِ حاكمُ بينَ الأممْ
أما دَرَى الشيخُ بأنَّ وَعظَهُ ... في مسجدٍ قد صَارَ مِن لَغوِ الكَلِمْ
يا مفتيًا على الكَنيسِ مشفقًا ... قد حَارَ في أحكامِهِ أولو الفهمْ
مَنْ قلبُهُ يهابُ مَوتَ كافرٍ ... فكيفَ مِيْتَةَ الشهيدِ يَغْتَنِمْ
فَعَلِّمَنْ تركَ الجهادِ طاغِيًا ... مِنْ كَفِّهِ يسيلُ في العالمِ دَمْ
أما ترى الغربَ بَدَا مُدَجَّجًا ... ليحفظَ الباطلَ في عِزٍّ عَمَمْ

• إقبال ومشاجراته مع أعداء الجهاد والمجاهدين

لا ريب أن قضية تحرير المسجد الأقصى من الاحتلال الصهيوني تعد من كبريات قضايا الأمة المركزية، وقد شهد إقبال احتلال اليهود للمسجد الأقصى، فكان من أقواله في افتتاح المؤتمر الإسلامي عام 1930: (إن على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة "لا إله إلا الله" أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ الأقصى).

وحينما زار إقبال بلاد الأندلس قال: (إن قالت اليهود: لنا الحق في أرض فلسطين، فمن باب أولى أن يقول العرب: إن لنا الحق في أسبانيا).

وقد اجتهد شاعر الإسلام محمد إقبال في بيان الحلول للحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية، والتأكيد على هذه الحلول في قصائده، ولعل من أبرزهما قصيدتان شهيرتان كفرسي رهانٍ في ميدان، حاول بهما إقبال أن يستحث همم المسلمين إلى طلب الرفعة والنهضة والطموح إلى المجد، أما أولاهما فقد اتجه بها إلى الله تعالى شاكيا ما أصاب المسلمين من الوهن والتخلف، وهي قصيدته الشهيرة التي انتشرت في عالمنا العربي بعنوان (حديث الروح) أو (قصيدة شكوى)، وحري بهاتين القصيدتين أن يحتار المرء في انتقاء أجود أبياتها، فلهذا ألقينا عن القلم العنان لسرد أروع حروفها دون تعليق، فهاكم من أطايبها ما يلي:

أَنَا مَا تَعَدَّيْتُ القَنَاعَةَ والرِّضَا ... لَكِنَّمَا هِيَ قِصَّةُ الأَشْجَانِ
أشكو وفي فمي التُّراب وإنَّما ... أشْكُو مُصابَ الدِّينِ للدَّيَّانِ
يَشْكُوْ لَكَ اللَّهمُّ قَلْبٌ لَمْ يَعِشْ ... إلَّا لِحَمْدِ عُلاكَ فِي الأَكْوَانِ

....

مَنْ كان يَهْتِفُ بِاسْمِ ذَاتِكَ قَبْلَنَا ... مِنْ كَاَنَ يَدْعُوُ الواحِدَ القَهْارًا؟
ندعو جهاراً لا إله سوى الذي ... صنع الوجود وقدَّرَ الأقدارا
هَلْ أَعْلَنَ التَّوْحِيْدَ دَاعٍ قَبْلَنَا ... وَهَدَى الشعوب إلِيْكَ والأَنْظَارا
كُنَّا نُقَدِّم للسُّيوفِ صُدُورَنَا ... لَم نَخْشَ يومًا غاشمًا جبَّارًا
ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا ... نرجو ثوابك مغنماً و جوارا

....

من غيرنا هدم التماثيل ... مِنْ كَاَنَ يَدْعُوُ الواحِدَ القَهْارًا؟
حتى هوت صور المعابد سجدًا ... لجلال من خلق الوجود وصوَّرا
ومن الأُلى حملوا بعزم أكُفِّهم ... باب المدينة يوم غزوة خيبرا
أمَّن رمى نار المجوس فأطفئت ... وأبان وجه الصبح أبيض نيِّرا
ومن الذي بذل الحياة رخيصة ... ورأى رضاك أعز شيء فاشترى
نحن الذين استيقظت بأذانهم ... دنيا الخليقة من تهاويل الكرى
نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم ... والحرب تسقي جامًا أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا ... في مسمع الكون العظيم وكبَّرا

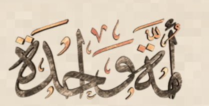
....

قد هبَّت الأصنام من بعد البِلى ... واستيقظت من قبل نفخ الصور
والكعبة العليا توارى أهلها ... فكأنهم موتى لغير نشور
وقوافل الصحراء ضلَّ حُداتها ... وغدت منازلها ظلال قبور
أنا ما حسدت الكافرين وقد غدو ... في أنعُمٍ ومواكبٍ وقصورِ
بل محنتي ألا أرى في أمتي ... عملًا تُقدمه صَدَاقَ الحُورِ

....

ماذا دهى الإسلام في أبنائِهِ ... حتى انطووا في محنةٍ وعذابِ
فثراؤهم فقرٌ ودولةِ مجدِهم ... في الأرضِ نَهبُ ثعالِبٍ وذئابِ
عاقبتنا عدلاً فهب لعدونا ... عن ذنبه في الدهر يوم عقابِ

....



عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم ... للموت بين الذل والإملاق
الدين يحيا في سعادة أهله ... والكأس لا تَبقى بغير السَّاقي
أين الذين بنار حبك أرسلوا ... الأنوار بين محافل العشاقِ؟!
سكبوا الليالي في أنين دموعهم ... وتوضَّؤوا بمدامع الأشواق
والشمس كانت من ضياء وجوههم ... تُهدي الصباح طلائع الإشراق

....

أسمِعهُمْ يا ربِّ ما ألهمتني ... وأعد إليهم يقظة الإيمانِ
وأذقهم الخمر القديمةَ إنها ... عينُ اليقين وكوثرُ الرضوانِ
أنا أعجمي الدَّنِّ لكن خمرتي ... صُنع الحجاز وكرمُها الفَيْنَان
إن كان لي نغمُ الهنود ولحنهم ... لكنَّ هذا الصوت من عدنانِ

أما القصيدة الثانية؛ فهي المنشورة بعنوان (جواب الشكوى)، وقد تخيَّلها إقبال صوتا يأتي من السماء ليدوي بصيحة الحق جوابا لهذه الشكوى، وهي تؤكد أن بلاء الأمة الشديد يكمن في ضعف عزيمة وإرادة رجالها عن بلوغ الآمال العظيمة بما يرضي الله عز وجل، فقال في مطلعها :

عطايانا سحائب مرسلات ... ولكن ما وجدنا السائلينا
وكل طريقنا نور ونور ... ولكن ما رأينا السالكينا
ولم نجد الجواهر قابلات ... ضياء الوحي والنور المبينا
ولو صدقوا وما في الأرض نهر ... لأجرينا السماء لهم عيونا
وأخضعنا لملكهم الثريا ... وشيدنا النجوم لهم حصونا
ولكن ألحدوا في خير دين ... بنى في الشمس ملك الأولينا
تراث (محمد) قد أهملوه ... فعاشوا في الخلائق مهملينا
تولى هادمو الأصنام قُدمًا ... فعاد لها أولئك يصنعونا
أباهم كان إبراهيم لكن ... أرى أمثال آزر في البنينا
لقد ذهب الوفاء فلا وفاء ... وكيف ينال عهدي الظالمينا
إذ الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحيى دينا
ومَنْ رَضيَ الحياةَ بغير دينٍ ... فقد جعل الفناء لها قرينا
وفي التوحيد للْهِمَمِ اتِّحادُ ... ولَنْ تبنوا العُلا مُتفرِّقينا

تركتـم ديـن أحمـدَ ثـم عدتـم ... ضحايا للهـوى أو للهـوان
رقـي الشـعب قـد أضحـى لديكم ... تقـرّره صلاحيـة الزمـان
وكيـف تقـاس أوهـام ولغـو ... بحكمـة مُنـزل السـبع المثانـي؟
ونـوم صباحكـم أبـداً ثقيـلُ ... كأن الصبـح لـم يدركـه نـور
وأضحـى الصوم في رمضان قيداً ... فليـس لكـم بـه عـزمٌ صبـور
تمـدّن عصركـم جمـع المزايا ... وليـس بغائـبٍ إلا الضميـر

....

لأي مآثـر القـوم انتسـبتم ... لتكتسـبوا فخـار المسـلمينا
فأيـن مقـام ذي النوريـن منكـم ... ودولـة عـزه دنيـا ودينـا
وفقـر علـيٍّ الأوّاب هـلّا ... ربحتـم فيـه كنـز الفاتحينـا

....

فـلا تجـزع فهـذا العصـر ليـلُ ... وأنـت النجـم يشـرق كل آن
ولا تخـش العواصف فيـه وانهض ... بشـعلتك المضيئـة في الزمـان
أعـد مـن مشـرق التوحيـد نـوراً ... يتـم بـه اتحـاد العالمينـا
وأنـت العطـر في روض المعانـي ... فكيـف تعيـش محتبسـاً دفينـا
وأنـت نسـيمه فاحمـل شـذاه ... ولا تحمـل غبـار الخاملينـا
وأرسـل شـعلة الإيمـان شمسـاً ... وصـغ مـن ذرةٍ جبـلاً حصينـا
وكـن في قمـة الطوفـان موجـاً ... ومزنـاً يمطـر الغيـث الهتونـا

وبهاتيـن القصيدتيـن آن لليـراع أن يطـوي حبـره، وإلـى أن يضمنـا بكـم الجـزء الرابـع والأخيـر مـن هـذه الاسـتراحة الأدبيـة، نسـأل الله تعالـى أن يفيـض علينـا وعليكـم سـوابغا من الهـدى والتقى والعفـاف والغنـى، وأن يجعلنـا وإياكـم مـن أوليائـه المتقيـن، آميـن.



والده: الشيخ نور محمد



إقبال والوفد المصري الأزهري في مدينة لاهور _ ١٩٣٧م

رواق إقبال

أستاذه للغة العربية:
المولوي سيد مير حسن

إقبال في أفغانستان مع العلامة
سيد سلمان الندوي _ ١٩٣٣م



(على الجانب الأيمن) إقبال في القدس _ ١٩٣١م



قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ فصلت33.

فإن من أعظم القربات إلى الله، وأجل المقامات وأشرفها، الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فبها يتعرف الناس على معالم دينهم، وفهم أحكامه ومسائله، واتباع توجيهاته وأوامره، والانتهاء عن نواهيه ومحاذره، وتعلم أخلاقه وفضائله، فالدعاة إلى الله، هم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، فبهم تنقشع الجهالة، وتُمحق الضلالة، ويزول الشك من القلوب، ويصفو للناس دينهم، ويستقيم منهجهم، وتسلم عقيدتهم، وتسموا أخلاقهم، ويتميزون بعقيدتهم، وأخلاقهم، وهديهم، عن بقية الأمم، التي لاتؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً نبياً، والناس بغير دعاة ومُصلحين، كالسائر في فلاة بغير هدى يوشك على الهلاك، إلا أن يجد هادياً يدله على الطريق.

لذا وجب على الداعية أن ينطلق بدعوته لتشمل كل فئات المجتمع، فَيُعَلِّم جاهلهم، وَيَحْنو على صغيرهم، وَيُوقر كبيرهم، ويعرف لأهل الفضل فضلهم، مُتحلياً بأخلاق وصفات تجعله قدوة لغيره، فيكون لسان حاله، أرجى لقبول دعوته من لسان مقاله، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال لقريش: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تُريدُ أنْ تُغيرَ عليكم أكنتم مُصدقي، قالوا ما عهدنا عليك كذباً قط . وذلك لما عُرف به صلى الله عليه وسلم من صدق، وأمانة، وهكذا يجب أن يكون حال الداعية إلى الله، متميزاً في سمته، وأخلاقه، فتهوى إليه الأفئدة، وتطمئن لدعوته القلوب، فيرى ثمرة أقواله وأفعاله سلوكاً حياً بين الناس.

وعليه ملازمة التقوى في قوله، وفعله، وعطائه، ومنعه، وسره، وعلنه، فهي زاده، وعُدته، وحصنه ومنعته من المغريات، والفتن، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنفال:29.

وهي من أكرم ما أسرر العبد، وأزين ما أظهر، وأفضل ما ادخر، وهي خير زاد في الآخرة قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة:197.

وعلى الداعية أن يكون آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، همهُ وقصده رضى الله، والنفع للناس، لا يطلب أجراً، ولا يبتغي مغنماً، ولا يطمع في منصب ولاجاه، ولا يرى لنفسه منّة، ولا فضلاً، مع طِيب القول، ولين الجانب، ومراعاة النفوس، لكسب ودها، وكفكفة جمودها، في غير مداهنة، ولا تنازل عن ثوابته، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول:« ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ» فلما دخل عليه، ألان له الكلام، وهشّ، وبشّ، وبذلك وجد طريقاً لقلب الرجل، ليأخذ بيده إلى طريق النجاة، وليتبعه بعد ذلك قومه، وعشيرته، وهكذا كان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على من يدعوه، وشعاره، ودثاره، قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الشعراء:109. فهو الحريص على نجاتهم، وسلامتهم، الآخذ بِحُجزهم رغم شدة تفلتهم، وتقحمهم .

عناية الإسلام بمكارم الأخلاق:

لقد عنى الإسلام أيما عناية بمكارم الأخلاق، وعمل على غرسها في نفوس الأفراد، لما لها من أثر عظيم، ونفع جليل، في صلاح الفرد، والمجتمع، ولعظم مكانتها، وسُمو منزلتها، نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم يختزل دعوته، ورسالته، وبعثته، بقوله « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، وبالنظر إلى سيرته صلى الله عليه وسلم، نجد أن الجانب الأخلاقي، قد نال جانباً كبيراً من حياته، وحياة أصحابه رضى الله عنهم، ولم يقتصر الأمر في حسن العلاقة بين المسلمين بعضهم البعض، بل في معاملاته صلى الله عليه وسلم، مع الكفار، والمنافقين، وأهل الكتاب، فشهد له الأعداء بكل فضيلة، رغم ما بينه وبينهم من عداوات، وثارات، وحروب مُتقدة، فنرى أبا سفيان زعيم قريش، وقائد حروبها، يشهد عند هرقل بمكارم الأخلاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كانت سيرته صلى الله عليه وسلم مثالا حيا، ونموذجا فريدا للأخلاق التي ربى عليها أصحابه الكرام، فساروا بهذه الأخلاق الحميدة في مشارق الأرض ومغاربها، دعاة، وفاتحين، ففتح الله لهم قلوب العباد، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، لما لمسوه من أخلاق لم تعرف البشرية لها نظيرا، ولا مثيلا، في السلم والحرب، ونرى ذلك جلياً في نصوص الكتاب والسنة، من حسن معاملة الأسير، وعدم التعرض للضعفاء، والنساك، والعباد، والرهبان، والنهي عن قتل النساء، والصبيان، والنهي عن المثلة، والرفق بأهل تلك الديار، وحتى في قلب المعركة نرى التوجيه النبوي لسلمة، ولكل الأمة من بعده «يا ابن الأكوع، مَلَكْتَ فأَسْجِحْ» ، وهذه من القمم السامقة في أخلاق الحروب.

يقول الشيخ سفر الحوالي-فك الله أسره-:إنّ تلك الجموع الغفيرة لم تكن لتدخل في هذا الدين الجديد، إلا بعد ما عايشوه، ولامسوه من تلك الأخلاق الحميدة، والصفات الفريدة، والنماذج الرشيدة، من سلفنا الصالح رضى الله عنهم، فكانوا حملة مشاعل النور لتلك الشعوب التي سادها الجهل، فنشأت في ظلمات الشرك، ولم تهتد لقضيتها المصيرية التي خُلقت من أجلها، ألا وهى عبادة ربها قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات:56.

والجانب الأخلاقي عند الداعية هو جانب مهم وحساس، ولا أبالغ إذا قلتُ بأنه نصف بضاعته، فلا يمكن أن نتصور النجاح لدعوة بغير النظر في أخلاق الداعين إليها، فكلما تحلى الداعية بمكارم الأخلاق، كلما كانت دعوته أرجى وأقرب للقبول عند الناس، فهو محل نظر العامة، يراقبون سكناته وحركاته، ويهتدون بهديه، ويستنون بأخلاقه، ويتلقون منه هذه الأخلاق بالعمل قبل القول، فالناس مفطورون على حب الفضائل، وحب من تخلق بها، حتى لو كُنتَ مخالفاً لهم في المنهج، كما في قصة يوسف عليه السلام مع الفتيان حين قالا: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يوسف:36. وقال الذي نجا منهما: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ يوسف:46.

فكان حسن الخلق من يوسف عليه السلام علامة بارزة، وسِمة واضحة، وعامل قبول لقوله عند من عايشوه، ورافقوه، مع مخالفتهم له في دينه، ودعوته.

ألا فابعثوها همة عربية

لابن الطفيل الأندلسي رحمه الله

أَقِيمُوا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ الْمَغَارِبِ لِغَزْوِ الْأَعَادِي وَاقْتِنَاءِ الرَّغَائِبِ
وَأَذْكُوا الْمَذَاكِي الْعَادِيَاتِ عَلَى الْعِدَى فَقَدْ عُرِضَتْ لِلْحَرْبِ جُرْدُ السَّلَاهِبِ
فَلَا تُقْتَنَى الآمَالُ إِلَّا مِنَ الْقَنَى وَلَا تُكْتَبُ العَلْيَا بِغَيْرِ الْكَتَائِبِ
وَلَا يَبْلَغُ الْغَايَاتِ إِلَّا مُصَمِّمُ عَلَى الْهَوْلِ رَكَّابُ ظُهُورَ الْمَصَائِبِ
يَرَى غَمْرَةَ الْهَيْجَاءِ أَعْذَبَ مَشْرَبِ وَإِنْ أَعْرَضَتْ زُرْقًا جِمَامَ الْمَشَارِبِ
وَيَأْنَفُ إِلَّا مَكْسَبًا مِن حُسَامِهِ وَيُعْرِضُ عِزًّا عَن جَمِيعِ الْمَكَاسِبِ
أَلَا فَابْعَثُوهَا هِمَّةً عَرَبِيَّةً تُحَفُّ بِأَطْرَافِ الْقَنَى وَالْقَوَاضِبِ
لَكُمْ قُبَّةٌ لِلْمَجْدِ شُدُّوا عِمَادَهَا بِطَاعَةِ أَمْرِ اللهِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةَ ثَائِرٍ وَفِيئُوا إِلَى التَّحْقِيقِ فِيئَةَ رَاغِبِ
دَعَوْنَاكُمُ نَبْغِى خَلَاصَ جَمِيعِكُمْ دُعَاءً بَرِيئًا مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ
نُرِيدُ لَكُمْ مَا نَبْتَغِي لِنُفُوسِنَا وَنُؤْثِرُكُمْ زُلْفَى بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ
فَلَا تَزْهَدُوا فِي نَيْلِ حَظِّكُمُ الَّذِي لَكُمْ فِيهِ فَوْزٌ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاطِبِ
بِكُمْ نُصِرَ الْإِسْلَامُ بَدْءًا فَنَصْرُهُ عَلَيْكُمْ وَهَذَا عَوْدُهُ جِدُّ وَاجِبِ
فَقُومُوا بِمَا قَامَتْ أَوَائِلُكُمْ بِهِ وَلَا تُغْفِلُوا إِحْيَاءَ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْمُو لِيَبْلُغَ شَأْوَكُمْ إِذَا كُنْتُمُ فَوْقَ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ
نَصَحْنَاكُمُ وَالنُّصْحُ فِي الدِّينِ وَاجِبٌ بِمَا لَكُمُ فِيهِ صَلَاحُ الْعَوَاقِبِ
وَخَاطَبَكُمْ عَنَّا بَيَانٌ مُخَصَّصٌ يَشُقُّ سَنَاهُ دَاجِيَاتِ الْغَيَاهِبِ
هُوَ الْأَمْرُ أَمْرُ اللهِ مُنْجٍ وَمُسْعِدٌ لِكُلِّ مُنِيبٍ نَاصِحِ الْجَيْبِ تَائِبِ
وَفِيهِ ذُعَافٌ لِلْعُدَاةِ إِذَا انْتَحَى تَمَكَّنَ مَا بَيْنَ اللَّهَى وَالتَّرَائِبِ
خُذُوا حَظَّكُمْ فَالْأَمْرُ جِدٌّ وَإِنَّمَا يَكُونُ بِقَدْرِ الْجِدِّ قَدْرُ الْمَنَاصِبِ
وَقَدْ فَازَ بِالتَّقْدِيمِ مِنْكُمْ مَعَاشِرٌ بِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ حَمِيدِ الْمَذَاهِبِ
تَحُثُّ بِهِمْ نَحْوَ الْبِدَارِ إِلَى الْهُدَى عِتَاقُ جِيَادٍ أَوْ عِتَاقُ نَجَائِبِ
فَطَارُوا إِلَى الدَّاعِي سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ قِدَاحُ تَلَقَّى الْفَوْزَ مِنْ رَمْيِ ضَارِبِ
فَخُصُّوا مِنَ التَّكْرِيمِ وَالبِرِّ مَا الَّذِي يَكُونُ جَدِيرًا بِالْوَلِيِّ الْمُصَاقِبِ
فَنَالُوا مَحَلَّ السَّبْقِ فَانْفَسَحَتْ لَهُمْ رِيَاضُ الْأَمَانِي سَائِحَاتِ الْمَذَائِبِ
وَقَدْ شَاهَدُوْا مِنْ حُرْمَةِ الْأَمْرِ مَا قَضَى لَهُمْ بِأَمَانٍ مِنْ جَمِيْعِ النَّوَائِبِ
فَمَا لَكُمُ وَالنَّوْمَ عَنْ خَيْرِ هِمَّةٍ تُقَلِّصُ أَفْيَاءَ الشُّؤُونِ الْجَوَاذِبِ
وَتُعْطِيكُمُ بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالْقَنَى مَنَادِحَ عِزٍ سَامِيَاتِ الْمَطَالِبِ
وَمَا هِيَ إِلَّا دَعْوَةٌ عَزَّ ذِكْرُهَا فَعَزَّ بِهَا فِي اللهِ كُلُّ مُصَاحِبِ
حَذَارِ فَإِعْرَاضُ الْفَتَى مِنْ نَجَاتِهِ وَتَضْيِيعُهُ لِلْحَزْمِ إِحْدَى الْمَعَائِبِ
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا طَاعَةُ اللهِ إِنَّهَا هِيَ الْحَرَمُ الْمَنَّاعُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ
نَعُدُّكُمُ السَّيْفَ الَّذِي لَيْسَ يَنْثَنِي إِذَا مَا نَبَا سَيْفٌ بِرَاحَةِ ضَارِبِ
وَنَجْعَلُكُمْ صَدْرَ الْقَنَاةِ إِذَا غَدَتْ تَأَطَّرُ مَا بَيْنَ الْحَشَى وَالتَّرَائِبِ
وَقَدْ كَانَ مِنْ أَقْوَالِكُمْ مَا عَلِمْتُمُ فَإِنْ كَانَ فِعْلٌ فَالرَّجَا غَيْرُ خَائِبِ
وَلَيْسَ خَطِيبُ الصِّدْقِ مَنْ قَالَ فَانْبَرَى وَلَكِنَّ فِعْلَ الْحُرِّ أَصْدَقُ خَاطِبِ
وَمَا خُلُقُ الْأَعْرَابِ إِخْلَافُ مَوْعِدٍ وَلَكِنَّ صِدْقَ الْوَعْدِ خُلْقُ الْأَعَارِبِ
سَنَعْلَمُ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ خَاسَ عَهْدُهُ وَمَنْ كَانَ مِنْ آتٍ إِلَيْنَا وَذَاهِبِ
وَتَظْهَرُ أَحْوَالٌ يَرُوقُ سَمَاعُهَا فَيَرْغَبُ فِي أَمْثَالِهَا كُلُّ رَاغِبِ